الصراع على البلطيق وحرب الشمال العظمى1700 -1721

م. د. علي خوير مطرود

المقدمة

شكلت الطبيعة الجغرافية في اغلب الاوقات عاملاً مهماً وحاسماً في تشكيل او عادة تشكيل الوجود التاريخي لأي دولة، بأبعدها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بل حتى الثقافية والدينية منها، فكثير ما كان الموقع الجغرافي لهذه الدولة او تلك يسهم بصورة رئيسة في تحديد مستقبل وجودها، وعلى الرغم مما منحته الطبيعة من مساحة جغرافية وقيمة مناخية كبيرتين لروسيا، غير انها بخلت عليها بمنحها رئة تتنفس منها القادم من أوربا، ومنعت عنها اي نافذة حقيقة تطل منها على السواحل الاوربية، ما يمكنها في نهاية المطاف من ان تتحول الى بلد اوربي بامتياز، وقد أدرك الكثير ممن اعتلوا عرش هذه الدولة تلك الحقيقة، فحاول قسم منهم بصورة او اخرى، فتح تلك النافذ وان كان بالقوة، ما دفعهم في اغلب الاحيان للدخول في صراعات وحروب كلفتهم الكثير، ولان اغلب حركة التاريخ ومساراته ترتبط بوجود شخص ذو ميزات خاصة تمكنه من رسم، أو اعادة رسم حركة التاريخ، فان حلم روسيا الازلي بالحصول على موطأ قدم على سواحل البلطيق، ارتبط بظهور بيتر المعروف بالعظيم، فمما لاشك في قوله ولا تردد، ان الرجل هو من منح روسيا ما هي عليه اليوم من القوة والمكانة والحضارة بمختلف تسمياتها ومسمياتها، اذ نجح من انتشال روسيا من وحل التخلف الحضاري ليضعها في قمة سلم التطور الذي جاوزت به احيانا جارتها أوربا.

لقد جعل بيتر العظيم منح روسيا الموقع الذي تستحقه على البلطيق ، احد اهم محاور سياسته طيلة سنوات حكمه، ومع انه حاول ان يمنح روسيا طريقا للمياه الدافئة نحو الشرق، الا انه لم يرد له ان يكون بديلاً عن حاجتها لممر مائي نحو الغرب، فوجد ضالته في بحر البلطيق واصر على ضم جزء منه لبلاده، الامر الذي قاد في نهاية الامر لاندلاع ما عرف تاريخياً "**بحرب الشمال العظمى**"، التي امتدت على مدار واحد عشرون عاماً ، ومع ان روسيا والسويد كانتا الطرفين الرئيسين في الحرب، غير انها اشتملت على تحالفات واتفاقيات ومساهمات من دول اخرى تعرضنا لها تباعا في هذه الدارسة .

وحتى يبلغ الحديث تمام الفائدة قسمنا الدراسة لعدة محاور بحسب ما اقتضته الطبيعة التاريخية للموضوع فتحدثنا في المبحث الاول عن الاهمية الاستراتيجية لبحر البلطيق بالنسبة لروسيا في عهد بيتر العظيم ، والكيفية التي تشكل بموجها التحالف الدولي ضد السويد، فيما ركز مبحث اخر على الحروب التي دارت بين الاطراف المتقاتلة طيلة المدة 1700 –1709، واستعرض مبحث ثالث ، موقعة بولتافا الشهيرة عام 1709، تلك الموقعة التي اعتبرها الجميع من المعارك الفاصلة في التاريخ، إذ تحدد فيها مصير اكثر من دولة وفي مقدمتها روسيا والسويد ، فيما واكب المبحث الرابع التطورات السياسية والعسكرية للحرب من عام 1710 حتى نهاية الحرب عام 1721، وختمنا الدراسة بمجموعة من الاستنتاجات التي توصلنا اليها في اطار ما طرح من معلومات وحقائق في ثنايا البحث .

المبحث الاول : الاهمية الاستراتيجية للبلطيق في عهد بيتر العظيم.

شهدت أوربا منذ أواسط القرن السابع عشر صراعاً ثابتاً للهيمنة على بحر البلطيق، كانت أطرافه في الغالب دولاً بعينها كروسيا والسويد والدنمارك والنرويج وبولندا وغيرها[1]، وكانت معظم هذه الدول ان لم تكن جميعها، مصممة على فرض عزلة بحرية على روسيا، ومنعها من الحصول على موطئ قدم سواء في مياه البحر الاسود او وبحر قزوين بصورة عامة، وفي مياه البلطيق بصورة خاصة[2]، وحين اعتلى بيتر العظيم(Peter the Great)(1682-1728) [3]، العرش أدرك أن ما تمتلكه روسيا من منافذ على أوربا لا تحقق لها الكثير، فميناء أركنجيل وهو اقرب الموانئ الروسية لأوربا يمكن ان يؤمن ممراً مهماً لتجارة روسيا الخارجية، الا انه لا يحقق لها فوائد أخرى غير ذلك، كزيادة النفوذ والتواجد الروسي في أوربا، ولذلك شعر بيتر بان الحصول على المزيد من الموانئ سينشط حركة البحرية الروسية ويسهل فعاليات النشاط التجاري مع أوربا بل وسائر العالم، لاسيما بعد ان سمح بيتر ببناء تحالف بين الرأسمالية التجارية والارستقراطية الجديدة وأن كان بصورة مؤقتة، الامر الذي كان يحفزه على ضرورة السيطرة على البلطيق، في وقت كانت فيه الحكومة الروسية تكافح لمواجهة عمليات المنافسة بين مدنها والمدن التجارية الاخرى كما هو الحال بين مدينتي Konigsberg الروسية وريغا البولندية التي كانت تخضع للنفوذ السويدي والتي كانت معقل لما يمكن ان نطلق عليه " **تجارة حرة**"[4]، اضف لذلك فان الحصول على المزيد من الطرق البحرية سيسهم في رفع اسم الامبراطورية ويزيد من سلطانها السياسي في الخارج ، وكان الموقع الجغرافي لروسيا يقف عائقاً قوياً امام تحقيق كل تلك الأهداف[5].

ولذلك كله فكر القيصر بيتر العظيم في العديد من المشاريع التي يمكن ان تحقق لروسيا حلمها الازلي في الوصول الى المياه الدافئة، ومن تلك المشاريع مشروع حفر قناة توحد بحر البلطيق ببحر قزوين، عبر ربط الدون بالفولغا ومن ثم الربط بينهما ونهر Dwina ، الذي سيصب المياه في البلطيق بالقرب من منطقة ريغا، ومن المشاريع الاخرى التي طرحها بيتر في هذا الصدد ، وضع روسيا يدها على بعض المناطق التي تقع خارج سيطرتها لتعزيز وجوده البحري كمنطقة ليفونا Livonia، وهي اقليم كبير، يسكنه اكثر من 500,000 الف شخص، ويحيط بها خليج ريغا، والبلطيق وخليج فنلندا وبحيرة Tchude ، ولذا فان امتلاك هذه المنطقة مثل مسألة ملحة لدعم المشاريع التجارية الروسية[6].

اعتقد بيتر أول الامر ان روسيا يمكنها الاعتماد على بحري قزوين والبحر الاسود (Euxine) بدلاً من سواحل بحر البلطيق، الا انه اكتشف لاحقاً بان البحرين الاوليين لن يحققا لروسيا فائدة مباشرة كتلك التي يحققها بحر البلطيق، لانهما لا يربطانها بأوربا مباشرةً، وكذا الحال بالنسبة للبحر المتوسط الذي بات قريبا من وضعه تحت نفوذه بعد ان استولى على موانئ بحر ازوف، فهو الاخر لم يكن يؤمن لروسيا ممراً مباشراً باتجاه أوربا، وهو الامر الذي يمكن فقط لبحر البلطيق تحقيقه وعبر طريق مباشر[7] ، كما ان حصول روسيا على ذلك الموقع هو الامر الوحيد الذي يسمح لها ان تبعد صفة دولة شرقية عنها، وتكون جزء من أوربا[8].

كان البلطيق في ذلك الوقت بحيرة سويدية، بعد ان وضعت السويد يدها عليه وعلى مناطق عدة أخرى من قبيل فنلندا ، كارليا Karelia ، إستونيا Esthonia ، انكريا Ingria ، ليفونيا و بومرانيا Pomerania لتحول بذلك بحر البلطيق الى " **بحر ابيض متوسط سويدي**" بحسب أحد المؤرخين، وكانت كل اراضي الساحل الشرقي التي كافح من أجلها الفرسان الروس والجرمان ذات يوم، اصبحت تحت سيادة السويد، ولذلك فان بيتر العظيم اذا ما اراد ان يفتح لروسيا نافذة تطل على الغرب فان عليه ان يكسر قيد الاملاك السويدية [9].

لم يكن الشعور بان السويد تمثل خطراً يجب ازالته يقتصر على روسيا لوحدها فحسب، بل كانت تشاطرها فيه العديد من جيران السويد، فقد عانت مملكة ليفونيا Livonia ، من حالة الاستبداد المقيت التي كانت تمارسها السويد تجاهها، ولذا أقترح وزيرها باتكول (Johann Reinhold Patkul)[10]، على ملك بولندا أوغسطس الثاني(August II) (1697–1744)[11]، ان يشكلا تحالف مع فردريك (Frederick IV)(1699–1730) [12]، ملك الدنمارك والقيصر الروسي بيتر العظيم لغرض كسر القوة الاسكندنافية المعادية في الشمال[13]، على قاعدة المصالح المشتركة ، فرغبة بيتر في الوصول الى البلطيق كانت كافية لوحدها لضمان موافقته في الانضمام الى الحلف، فيما كان كره ملك الدنمارك للسويديين ورغبته في ضم مقاطعتي الشيلزفيك والهولشتاين اللتين ضمنت كل من السويد وبريطانيا وهولندا استقلالهما بموجب اتفاق عام 1689، وخشيته من الدعم السويدي المتواصل بل وتحكمها بجارته الجنوبية دوقية هولشتاين التي مثلت صلت الوصل بين السويد واملاكها في الاراضي الالمانية، والتي تعززت بزواج دوقها فردريك الرابع من هيدفيج صوفيا(Hedwig Sophia)[14]، شقيقة الملك السويدي كفيلاً في ضمان موافقته كذلك[15].

أما بالنسبة لملك بولندا فكانت لديه راغبة جامحة في استعادة ليفونيا واستونيا اللتان سبق وانتزعتهما السويد من بولندا ، كما ان الملك أوغسطس الذي وصل تواً للحكم تملكته رغبة أخرى في رؤية بلاده تخوض حرباً ضد السويد، ما سيساعده في جمع رعاياه في سكسونيا وبولندا على حداً سواء، وسينهي بعض المشاكل والاعتراضات الداخلية التي كان تواجه حكمه في بولندا، وما شجع الجميع على الدخول في ذلك التحالف انه جاء في انسب الاوقات، فالوضع السويدي غير مستقر لاسيما مع وصول تشارلز الثاني عشر (Charles XII)(1697–1718) [16]، لعرش السويدي وهو شاب لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره،[17]، فيما كان ملوك تلك الدول يتمتعون بخبرات عسكرية وسياسية كبيرة وفي مقدمتهم قيصر روسيا الذي كان يمتلك خبرة وادارة كبيرتين وهو العائد تواً من الخارج حاملاً امال وطموحات كبيرة ، خاصة بعد ان نجح في حل مشكلة الستريليتزي التي هددت موسكو لمدة من الزمن، لذا وجد بيتر في المشروع فرصة نادرة لتحقيق حلم روسيا الازلي فاسرع بالانضمام للتحالف[18].

كان الاتفاق ان تُهاجم السويد من قبل جيرانها مجتمعين، فتستولي بولندا على ليفونيا واستونيا ، فيما تحصل روسيا على انكريا وكارليا ، وتحصل الدنمارك على الشيلزفيك والهولشتاين [19]، التي كانت تحكم من قبل نسيب ملك السويد تشارلز الثاني عشر، وكان بيتر العظيم من أكثر المتحمسين لهذا الاتفاق لاسيما وانه اعتقد بان عملية الهجوم والاستيلاء ستتم بسرعة كبيرة ، وبناء على ذلك الاتفاق وقع الجميع معاهدة بيروبرزكانسكو Perobrazhcnskoe في تشرين الاول 1699 [20].

المبحث الثاني : المسارات العسكرية للحرب بين عامي 1700-1709.

لم يجد بيتر العظيم حجة لإعلان الحرب على السويد سوى ادعاءه بالاستياء مما اعتبره "**اهانة** " تعرض له من قبل حاكم مدينة ريغا، الذي رفض السماح له برؤية التحصينات حين مر في ولايته اثناء جولته عائداً من أوربا، وقد أشتكى بيتر من هذه الاهانة وارسل المفوضين الى السويد لمطالبتها بإرضائه ، وعلى الرغم من التوصل لبعض "**التأويلات**" للحادثة ، الا ان بيتر اعلن عدم رضاه عنها، وفي الوقت الذي كانت فيه المفاوضات مستمرة و ولايزال الوفد الروسي في المملكة السويدية ، اعلن بيتر حربه على السويد، فما كان من الملك الشاب سوى ان جهز جيش قوامه 200,000 الف مقاتل لموجهته[21] بعد ان وقع معاهدة دفاعية مع كل من بريطانيا العظمى وهولندا في كانون الثاني عام 1700[22].

لقد بدأ السويديون الحملة بالهجوم على كوبنهاكن بدعم من الاسطولين الانكليزي والهولندي[23]، وارسل الملك تشارلز الثاني عشر 8000 مقاتل، الى بوميرانيا ، فيما قاد هو أسطول مكون من 40 سفينة، وبعد ستة اسابيع أجبرت قواته الدنمارك على الانسحاب من الحلف بعد توقيعه معاهدة ترافنثيل Traventhal[24]، ومن ثم حول تشارلز الثاني عشر انتباهه صوب ضفتي نهر Neva ، حيث كان بيتر العظيم يحاصر مدينة Narva [25]، التي كانت عبارة عن ميناء يطل على البلطيق، بالقرب من مدينة ريغا Riga السويدية[26]، بواسطة جيش ضخم من المجندين الجدد عديمي الخبرة، حيث كان بيتر يعتقد بان فتحه لهذه المدينة سيكون طريقه للوصول الى البحر، وسيكون عندها قادراً على بناء السفن التي ستساعده في عملياته ضد السويد[27].

وحينما ظهر بيتر اسفل جدران نارفا Narva في تشرين الأول 1701، ابتهج رئيس الوزراء باتكول ، أول الامر، لكنه سرعان ما شعر بالقلق فلم يكن من المفترض ان تهاجم موسكو نارفا، وفضل ان يراها على الجانب الاخر في فنلندا[28]، الا ان الملك أوغسطس الثاني ،ملك بولندا، نصحه بعدم اثارة الامر ما يهدد التحالف ويضعفه ، وحينما علم المك تشارلز الثاني عشر بان الروس باتوا يحاصرون نارفا ، تحرك باتجاههم وبعد اربعة ايام من المسير المتواصل وصل مع قواته الى مخفر امامي يبعد اربعة اميال فقط عن المدينة التي كانت تحت حماية كتيبة روسية يقودها الجنرال شيرماتيف Shermetief ، مع ستة الاف من سلاح الفرسان، فاسرع تشارلز الثاني عشر لمهاجمته فاطلق

بعض الاطلاقات ما اخاف شيرماتيف واضطره للهرب مع رجاله ، تاركاً المخفر للسويديين الذي واصلوا التحرك باتجاه القوات الروسية [29].

اثارت أخبار هذه الحرب استياء الكثير من الأطراف الدولية ولاسيما هولندا صاحبة المصالح التجارية الاكبر في المنطقة البلطيقية، ، ولذلك اسرعت بأرسال احتجاج على تحركات القيصر، كما عملت على اقناع ملك بريطانيا، وليام الثالث (William III)(1650–1702)[30]، على الانضمام اليها في ذلك الاحتجاج، ويظهر ان استيائها ذلك اثار قلق الوزير الروسي المفوض في لاهاي فكتب الى القيصر قائلاً: "**أن حربك الحالية على السويد اثارت استياء الحكومة هنا**"، كما ابلغه بان الحكومة الهولندية ابلغته بانها ووفقاً "**للاتفاقيات القديمة مع السويد فأنها ستقدم للسويديين المساعدة في كل شيء**"[31]، في نفس السياق أرسلت الحكومة الهولندية مبعوثاً خاصاً لملك بولندا ليحثه على ضرورة التمهل في مهاجمة ريغا لحين اتخاذ بعض "**الاجراءات**" التي من شأنها ان تهدأ الموقف، خصوصاً وان منطقة ريغا كانت عبارة عن ميناء تجاري مهم يستخدمه عدد كبير من التجار الهولنديين الذين كانوا يمارسون التجارة في تلك المناطق، فبات من الضروري على الحكومة الهولندية ان تسعى للحفاظ على مصالح تجارها التي هي بالنهاية مصالحها الخاصة[32].

في تلك الاثناء وصل ملك السويد تشارلز الثاني عشر الى منطقة ريغا مع اسطوله الضخم، في ذات الوقت الذي وصل فيه احتجاج الحكومة الهولندية لملك بولندا أوغسطس الثاني، الذي كان يستعد لمهاجمتها، وحين شعر بعدم قدرته على مواجهة قوات الجيش السويدي، ادعا انه قرر سحب قواته والتراجع استجابة لمطالب الحكومة الهولندية، والتزاما منه برغبتها وأصدر الاوامر الى الجنرال d'Alberg، لسحب قواته عن ريغا[33].

تقدم الملك تشارلز باتجاه ريغا ومنها الى نارفا لمهاجمة قوات القيصر المتمركزة هناك[34]، ومن غير تردد انطلق بيتر مع جيش مكون من 60,000 مقاتل نحو Ingria ، مع ان هذه القوات كان من بينها 12,000 مقاتل فقط هم من الجنود النظاميين المدربين ، اما البقية فكانوا عبارة عن مجندين جدد جمعوا من كافة ارجاء الامبراطورية لا يمتلكون الخبرة ولا يجيدون حتى استخدام الاسلحة النارية[35]، في حين كان الجيش السويدي مكون من 8000 مقاتل من ذوي الخبرة والتجربة، وتحت امرة جنرالات ماهرين[36]، وبدأت المعركة في التاسع عشر من تشرين الثاني عام 1701 بين

الطرفين بقصف مدفعي كبير استمر حتى الثانية ظهراً، وفي ذلك الوقت كان السويديون منهكين تماماً من طول المسير، غير انهم نجحوا في الاقتراب من معسكر القوات الروسية مستفيدين من هبوب عاصفة ثلجية قطعت الرؤية على الروس[37]. الذين وجدوهم فجأ امامهم وقد اخترقوا المعسكر الذي لم يكن تحت امرة القيصر نفسه ، الذي وبالتزام منه بالترتيب العسكري منح قيادة هذه القوات لجنرال الماني كبير السن لم يكن يحظى بدعم زملائه من الضباط الروس يدعا هارزوك فون كوري (Herzog von Cory)، إذ رفض الضباط الاستجابة لأوامره وانتفضوا عليه وذبحوا سكرتيره العقيد ليونز Lyons ، وضباط اخرون موالون له[38]. فعمد هذا الضابط الى تسليم نفسه مع رجاله الى القائد السويدي كراف ستانبوك (Graf Stenbok)، ما دفع الروس لتحميله مسؤولية الخسارة التي لحقت بهم، وصرخوا بعد رؤيتهم القوات السويدية تدخل المعسكر قائلين " **لقد خاننا الالمان**"، وسرعان ما وقعت المعركة بين الطرفين، وما أن دخلت القوات السويدية المعسكر حتى شرعت بذبح كل من كان فيه، بما في ذلك النساء، فخسر الروس ما يقارب العشرين الف مقاتل ، فيما لم يخسر السويديون سوى الفين او ثلاثة الاف مقاتل فقط[39].

والى جانب كل اولئك القتلى تم أسر الالف منهم غير ان العدد الهائل للأسرى وما فرضه ذلك على القوات السويدية من ضرورة حراستهم وتوفير الطعام والتدفئة لهم، ، في ذلك الفصل البارد من السنة ، دفع بالملك تشارلز الثاني عشر ان يقرر الاحتفاظ بالقادة فقط، فيما اطلاق سراح الجنود بعد ان جردهم من أسلحتهم[40]، كما تبع السويديون طريقة غريبة لأبعاد خطر هؤلاء الجنود ، اذ مزقوا ثيابهم بطريقة لا تسمح لهم باستعمال يديهم في مساعدة بعضهم البعض وبالتالي يكون كل جندي مسؤول عن نفسه فقط ، وبهذه الطريقة تمكن عدد قليل من الجنود السويديون من التحكم بعدد كبير من الجنود الروس ونقلوهم لمسافة ومن ثم تركوهم يواصلون طريقهم بتجاه روسيا لوحدهم[41].

حينما سمع القيصر بيتر بأخبار تلك الهزيمة لم يظهر اي تأثر او انكسار واكتفى بالقول انه توقع ان يبدأ السويديون بالضربة الاولى واضاف قائلاً " **هم قد يضربوننا مرة أخرى، لكنهم سيُعلموننا الوقت المناسب لضربهم**"[42]، وتعامل بيتر بدروه بشجاعة مع هذه الخسارة التي عدها درساً عسكرياً قاسياً، وربما لو ان الملك تشارلز الثاني عشر واصل تقدمه باتجاه موسكو، لكان له ان يدخلها، الا ان اصراره على الذهاب نحو بولندا لتغيير ملكها ، منح القيصر بيتر فرصة عظيمة لإعادة تنظيم قواته، ففي الوقت الذي كان فيه تشارلز مشغولاً في بولندا كسب بيتر الوقت لإنجاز الترتيبات اللازمة لتهيئة

قواته وأسرع الى جمع ما تبقى من قوات جيشه التي ظلت سليمة وزاد من تحصينات البلدات الحدودية مثل منطقة باسكوف Pskof ، نوفكورود Novgorod، والمناطق الحدودية الاخرى[43].

كما أخذ يجند المجندين من كافة ارجاء الامبراطورية، واستقدم ضباط اجانب من مختلف البلاد، فيما عاد هو شخصياً لموسكو وقضى معظم فصل الشتاء في تشكيل وتدريب عشرة من كتائب المشاة التي ضمت كل واحدة منها 1000 مقاتل، وعدد من كتائب الفرسان، وزود جيشه بالمدفعية وحين استنزفت اغلب موارده لإصلاح المنظومة العسكرية أمر بأنزال اجراس الكنائس والاديرة واعادة صهرها ليصنع منها مدافعه الجديدة[44].بعد ان فقد 145 مدفع في معركة نارفا، فصنع 100 قطعة مدفعية و 100 قطعة ميدانية، و12 هاون ، 13 مورتر[45]، كما ارسل قرابة 250 طفلاً الى المدارس العسكرية لتخريجهم بصفة ضباط، بل وذهب ابعد من ذلك حينما وضع يده على قطعان الاغنام في Saxony للإفادة من اصوافها لجيشه[46].

ونتيجة لكل تلك الجهود شهدت السنة التالية للحرب تحقيقه بعض الانتصارات الصغيرة، لكنها اسهمت في تقدمه نحو البلطيق شيء فشيئاً[47]، حتى وصل اخير الى اعلى نهر نفاسكي العظيم Nevski ، ما كان يعني حصوله على Neva كما كان على بيتر ان يعيد محاولة السيطرة على انغريا مرة ثانية ولكن هذه المرة من دون مساعدة حلفائه، وبعد عام تقريبا على الهزيمة الساحقة في نارفا، عاد الجنرال شيرماتيف لمهاجمة قوات الجنرال السويدي Silpenbach ، بالقرب من قرية إيرستفر Errestfer ، في ليفونيا حيث كان يرابط مع سبعة الاف من مقاتليه، وتمكن الجنرال Scheremaoff ، من هزيمتهم في الاول من كانون الثاني 1701، بعد نزاع حاد استمر لأربعة ساعات ارغمهم بعدها على ترك مدفعيتهم ، وقيل بانهم خسروا 3000 رجل ، فيما قتل 1000 من الروس،[48]. واسر 350 مقاتل، فكانت واحدة من الانتصارات المهمة التي وجب الاحتفال بها حتى في شوارع العاصمة موسكو[49].

وفي عام 1703، شرع بعملياته الثانية على خليج فنلندا، حيث تمكن من الاستيلاء على مناطق Schiisselburg ، و Nienshants ، وهما قلعتان سويديتان ، وبنى قلعة أس. أس. بيتر بول على جزيرة صغيرة في منطقة Neva ، كما أسس ايضا مسفن على نهر Suir ، وبدأ بإنشاء السفن لمقاتلة السويديين[50].

كان بيتر يسعى للحصول على بحيرة Ladoga ، ونهر نافا اللذان سيوصلانه الى البلطيق مباشرة، ولذلك اسرع في بناء مدينة سات بيتراسبورغ على فم نهر نافا بالقرب من خليج فنلندا ، وعلى الرغم من ان الاراضي التي خُصصت لهذه المدينة كانت عبارة عن مستنقعات ، الا ان موقعها المطل على البحر كان يسمح بالدفاع عنها تجاه اي هجوم بحري، كما يمكن ان تستفيد من اتصالها بالطرق المائية كنهر نافا(51)، وبحيرة ليدوكا Lodoga ، التي كان مخرجها نهر نيفا الشهير، وهي بحيرة تصب فيها المياه من مختلف الانهار وغالباً ما تفيض ضفتيها على الاراضي المجاورة لها من الشمال والشرق، وما زاد من مياهها تحمله الانهار الى البحر، ولذلك اراد القيصر الافادة من هذه المميزات(52).

ففي اثناء حملته على السويد عام 1702، لاحظ بان اسفل النهر عريض جداً ومياهه عميقة لدرجة تكفي معها للملاحة، وحينما وصل الى فم النهر وجد ان هناك جزيرة قريبة تقع على مسافة من الشاطئ يمكن ان يتم تحصينها بسهولة، واذا ما تم ذلك فانه بالإمكان الدفاع عن مدخل الجدول ، وللتأكد من ذلك اخذ معه عدد من الجنود وذهب بنفسه للجزيرة بواسطة المراكب، وعلى الرغم من ان اسم هذه الجزيرة كان مجهول بالنسبة له حينها غير انها كانت قلعة كرونستاد Cronstadt)(53).

في ذلك الوقت كان سفينة سويدية ترسوا بالقرب من الجزيرة، وحينما شاهدت الجنود الروس اقتربت من الشاطئ واخذت بأطلاق النار عليهم، وواصلت عملية الاطلاق على امل ان تجبرهم على مغادرة الجزيرة، الا ان الجنود وبدلاً من الانسحاب اختبأوا خلف الصخور، فظن السويديون بانهم غادرو الجزيرة نحو الطرف الاخر منها ، ولذلك قرروا النزول بدورهم للجزيرة لمعرفة ما كان الروس يفعلونه هناك(54)، الا انهم تفاجأوا بالجنود الروس الذين اجبروهم على الانسحاب ، واصبح بيتر حراً في تفقد الجزيرة وتفحصها فوجد بانها مكان مناسب لبناء ميناء مستفيداً من تيار المد العالي الذي يمكن السفن من الدخول عبر فم النهر، لاسيما وان المدينة لم تكن تحوي اي تجمعات سكانية كبيرة، بل مجموعات صغيرة من اكواخ الصيادين، وحصن قديم مهدم على مسافة عدة اميال، فأيقن بيتر العظيم بانها المكان الانسب لبناء مدينة احلامه المطلة على البحر(55).

أسس بيتر مدينة سات بيتراسبورغ في 22 مايس 1703على ارض مستنقعية عند 60 درجة من خط العرض، وكانت البناية الاولى التي اقيمت فيها عبارة عن حصن لايزال قائم وسط المدينة حتى

اليوم، فيما كانت الكنيسة هي البناية الثانية التي اقيمت في المدينة، وعلى الرغم من انشغال بيتر العظيم بالحرب مع السويد، الا انه كرس كل الجهود والطاقات لإكمال بنائها، وجلب العمال من مختلف ارجاء الامبراطورية[56]، وسكن هو نفسه في كوخ خشبي بسيط وضع فقط ليحميه من الطقس، وليباشر بنفسه عمليات البناء، وبات هذا الكوخ اليوم من المعالم المميزة للمدينة، وفي اقل من سنة بني ثلاثون الف منزل فيها بعد ان خسر مئات الالاف من العمال حياتهم وهم يسعون لإنجازها[57]، ولم تكد تمضي خمس اشهر فقط على بناء المدينة حتى تفاجأ الجميع بوصول سفينة هولندية لها، فشعر بيتر بفرحة كبيرة وهو يرى حلمه يتحول الى واقع، لاسيما وان السفينة كانت تابعة لصديق قديم له يدعا Zaandam ، وكانت تحمل الملح والنبيذ ومواد اخرى سرعان ما بيعت وحقق اصحابها ارباح كبيرة، ما دفع بيتر للتشدد بحماية المدينة وخليجها[58].

لقد مكنت التحصينات التي اقيمت فيها بيتر من بناء المزيد من السفن ليصنع لنفسه اسطولاً كبيراً، ربما حتى اكبر من ذلك الذي كان يمتلكه ملك السويد نفسه، ولم ينجح في ابعاد السويد عن اراضيه فحسب، بل نجح كذلك في انزال بعض من قواته على طول الساحل السويدي المجاور للمدينة، وفي الوقت الذي كان فيه بيتر يعزز قوته البحرية، كان ملك السويد يعزز قوته على البر، وتمدد باتجاه بولندا وبعض المحافظات المجاورة لها[59].

وعلى الرغم من نشاطات بيتر تلك، الا ان الملك السويدي الشباب لم يعر اهتماماً كافياً بما عده "أحداث تافهة"، وحين وصلته انباء بناء بيتر لتلك المدينة قال لاحد ضباطه :" **دعه يسلي نفسه وهو يفكر في بناء مدينته، ساجد الوقت قريباً لانتزعها منه واضع بيوتها الخشبية في اللهب**"[60]، وارسل الى بيتر العظيم رسول يبلغه بقدرته على القدوم لما اسماه " **بلدة بيتر الخشبية**" ، وحرقها بالكامل، وركز اهتمامه على استبدال ملك بولندا بملك اخر يواليه[61]، الى ان نجح في ذلك وتمكن من خلع أوغسطس الثاني واحل بدلاً عنه ستانيسلاس Stanislas Leszczynskion [62] ، على عرش بولندا، لاسيما وان الملك اغسطس الثاني لم يكن بمقدوره طلب المساعدة داخلياً او خارجياً ، فداخلياً كانت الحرب شنت برغبة شخصية منه فلم يستشر بشأنها الشعب البولندي او النبلاء الذين كانوا على خصومه معه، أما خارجياً فكان يخشى ان يقود طلبه المساعدة من دول وسط أوربا، بملك السويد للتحالف مع الملك لويس الرابع عشر(Louis XIV)(1638-1715)[63]، ولذلك أضطر الى

التوقيع على معاهدة الترانشتات altranstadt عام 1706[64]. التي تعهد فيها كذلك بالانسحاب من التحالف الدولي الروسي ضد السويد[65].

وفي الوقت نفسه قاد تشارلز الثاني عشر جيشه باتجاه Livonia حيث تمكن من الاستيلاء عليها وقطع رأس زعيمها " **الخائن**" باتكول[66]، وقد اسهم انتصاره على بولندا في زيادة غروره واخذ يعتقد بان لا يشيء يمكن ان يقف في طريقه، وما عزز تصوره ذلك ما باتت الدول الاوربية الاخرى تشعر به تجاهه، اذ كانت ترى فيه قوة توازن في أوربا، فهذه مملكة مارلبورو Marlborough[67]. تطلب مساعدته في التحالف ضد ملك فرنسا لويس الرابع عشر في حرب الوراثة الاسبانية(1701-1714)[68]، فيما طلب لويس الرابع عشر الامر نفسه فحثه على التحالف معه في تلك الحرب[69]، فشعر تشارلز الثاني عشر بان مصير أوربا بات بين يديه فما كان عليه سوى ان يقرر في اي اتجاه يحرك قواته[70].

كان السؤال المهم حينذاك ، اذا ما اراد تشارلز الثاني عشر مهاجمة روسيا، فما هي افضل الطرق لذلك؟ هل يدخل روسيا من الشمال، او عن طريق بولندا التي بات سيدها المطلق، وكان الفيصل في قراره مدى قدرته على جلب ولاء القوزاق الذين كانوا في قمة الاستيلاء من سياسيات بيتر العظيم تجاههم[71]. وعلى الرغم من ذلك، الا ان الملك الشاب لم يتحرك باتجاه موسكو، بل غير وجهته نحو الجنوب، بتجاه القرم Crimea ، والبحر الاسود، وكان هناك سبب واحد فقط لتفسير تصرف الملك تشارلز الثاني عشر ، لم يفهمه بيتر الا بعد مدة، فقد كان بلاد القوزاق تقع في تلك النواحي[72].

قرر الملك تشارلز الثاني عشر مواجهة بيتر في المنطقة الجنوبية الغربية، يساعده في ذلك زعيم القوزاق ورئيس (Hetman)[73]، ايفان مازيبا(Ivan stepnavy Mazeppa)[74]، الذي كان من المقربين من بيتر العظيم وممن قاتل معه للحصول على أزوف، الا انه خانه وانقلب عليه، وكان يمكن ان يحظى بمكانة اعلى شأن لو بقي على ولائه للقيصر بيتر، غير ان انبهره بالنجاحات التي حققها الملك تشارلز الثاني عشر واعتقاده بانه سينجح في القضاء على قيصر روسيا بيتر العظيم، دفعه للكتابة الى لملك الشاب يبلغه بانه يمكنه الاعتماد عليه[75]. وعلى قواته التي بلغ عديدها ما يزيد على 40,000 الف مقاتل من القوزاق الناقمين على بيتر بسبب نظامه العسكري

الجديد من جهة، واجبارهم على دفع ضريبة فرضت على كل قوقازي مقدارها سبعون كوبك، والتي لم يستثنى منها حتى القوزاق الذين يقاتلون لصالح بيتر والجيش الروسي، من جهة ثانية، واعتبروا ان ذلك انتهاك للعهود التي على أساسها انضموا طوعاً للإمبراطورية الروسية[76]، الى جانب امتعاضهم من صدور مرسوم من القيصر يمنعهم من استقبال المزيد الفلاحين الهاربين من نظام القنانة[77] الذي كان يسود في روسيا[78].

أما عن سبب خلاف مازيبا مع القيصر[79]، فانه يعود لأحدى اللقاءات بين الطرفين، فحين كان يجالس القيصر في أحدى المرات، عبر القيصر لمازيبا عن تذمره من الشخصية الفوضوية وصعبة الانقياد للقوقاز، واقترح على مازيبا ان يتم اجراء بعض الاصلاحات في تلك القوات وداخل تنظيم تلك القبائل، بغية جعلهم اكثر التزاماً تجاه الحكومة المركزية وبطريقة تكون شبيه بتلك التي تتبعها القوات النظامية الروسية، فما كان من مازيبا الا ان رد هذا المقترح وابلغ القيصر بيتر بان هذه الاجراءات لا يمكن ان تنجح مع قوات القوزاق فهم يتمتعون بشخصية فوضوية عنيفة ووحشية، عبروا عنها في عاداتهم اثناء الحروب، وتعودوا عليها منذ زمن طويل ويصعب جداً انتزاعها عنهم او اخضاعهم لنوع من الانضباط والقيود العسكرية[80].

استاء القيصر كثير من جواب مازيبا ، وعامله بوقاحة وعنف، متهماً اياه بالخيانة الامر الذي ازعج مازيبا كثيراً فخرج من الخيمة وهو يتوعد بالانتقام منه سراً، ومباشرة بعد ذلك الحادث قرر مازيبا فتح باب المفاوضات مع ملك السويد، وتم فعلاً في النهاية التوصل الى اتفاق بين الطرفين[81]، نص على ان تقدم ملك السويد باتجاه الجزء الجنوبي من البلاد، حيث سيلتقي به مازيبا والقوات القوزاقية، ليعلن بعدها مازيبا الثورة على القيصر بيتر العظيم، ويندمج مع قوات ملك السويد وبحسب تصورهم فان ذلك سيقود لمباغتة القيصر وهزيمة قواته، على ان يستولى ملك السويد بعد ذلك على الاراضي الروسية فيما تعود قوات القوزاق الى قلاعها الخاصة وتحكم كقبيلة مستقلة[82].

ظهر أول الامر وكان الخطة ستنجح، ولكن لسوء حظ المتآمرين لم يكتب لها النجاح، لان مخطط مازيبا للتمرد مع القوزاق تم اكتشافه من قبل القيصر بيتر، حيث تم القضاء عليه قبل ان يتم تنفيذه، إذ كان لدى بيتر الكثير من الوكلاء السريين في كل مكان من الإمبراطورية ، ولذلك ما أن علم بإمر مازيبا حتى طلب من رجاله مراقبة تحركاته والاستعداد للتدخل عند الحاجة، وقد اربكت تلك

الاخبار والتصرفات مازيبا، فاسرع لإعلام بعض قادة القوزاق الكبار المقربين منه بأمر خطته، ووعدهم بانه سيحررهم من سيطرة طاغية موسكو ويعيد اليهم استقلال قبائلهم[83]. فما كان من الضباط الا ان انقسموا على انفسهم فمنهم من استمع له بحرص وايده فيما عبر القسم الاخر عن خشيته من رد فعل القيصر، وحينما شعر مازيبا بأن الموقف سيقود لشق صف رجاله قرر تهدئة الوضع عبر اقتراحه ارسال مبعوث للقيصر يحمل طلباتهم لمعرفة ردة فعله تجاهها، وحين يعود المبعوث مع رفض القيصر فان ذلك سيسهم في حسم موقف المترددين من رجاله وسيسارعون لدعمه واعلان تأييدهم له[84].

بناء على ذلك كتب مازيبا طلبات وشكاوى القوزاق وطلب من ابن اخيه ورنرويسكي Warnarowski ، حملها الى القيصر، وفعلاً حين وصل الرجل الى معسكر بيتر لم يعمد الاخير الى استقباله او حتى الاستماع لمطالبه ، بل طلب من رجاله اعتقاله وايداعه السجن، بتهمة الخيانة على اعتبار انه جاء للملك بطالبات وشكاوى في وقت كانت فيه البلاد تتعرض لخطر الغزو الخارجي[85]، وحالما علم مازيبا بنا اعتقال ابن اخيه حتى تأكد له بان القيصر بيتر اكتشف امره فقرر ان يُسرع في تنفيذ خطته والا فشلت، ولذلك اسرع بتجهيز قواته وتحريكها في الاتجاه الذي كانت تعسكر فيه القوات السويدية، وبعد ان عبر النهر الفاصل بينه وبين تلك القوات واطمان على موقفه ، جمع جنوده على شاطئ Desna ، وخطب فيهم خطبة حماسية ناشدهم فيها بالولاء للامة القوزاقية، وذكرهم فيها بعدم احترام القيصر للإصلاحات المطلوبة واحتقاره للاتفاقيات بين الامتين، وافصح لهم عما ينوي فعله[86]

استاء الجنود القوزاق كثيراً مما اقدم عليه مازيبا لاسيما وانهم لم يكونا على علم مسبقاً به، ولذلك رفض بعضهم الانضمام " لثورته" وانقسم القوزاق على قسمين، أيد الاول منها والذي كان على علم مسبق بالثورة ما اقدم عليه مازيبا وانضموا له، فيما رفض القسم الاخر تأييده او الانضمام اليه، بل واعلنوا بانهم "**سيلقون القبض عليه وسيقيدونه من يديه وقدميه ويسلمونه للقيصر**"[87]. وخشية من حدوث ذلك اسرع مازيبا مع من بقي معه من الرجال وهم قرابة الفي رجل وانضموا الى معسكر تشارلز الثاني عشر ، في حين تحرك القسم الاخر وتحت قيادة الضباط المخلصين وزحفوا نحو أقرب وحدة عسكرية روسية ووضعوا انفسهم تحت امرة الجنرال الروسي المسؤول عنها[88].

ومباشرة بعد خيانة مازيبا تلك تم تشكيل مجلس للحرب لمحاكمته ، فصدر بحقه حكم الاعدام، ولأنه كان بحماية الجيش السويدي فان الجنود صنعوا دمية خشبية تمثيلاً له واوقعوا فيها العقوبة، ففي البداية البسوا الدمية بحيث تصبح شبيه بمازيبا ووضعوا لها الاوسمة والاشرطة والزينة التي كان مازيبا معتاد على وضعها، ثم أخرجوا الدمية بعد ذلك الى المعسكر امام الجنرال المسؤول عن المعسكر وعدد من الضباط، وقرأ احدهم حكم الادانة، ثم شرعوا بإعدام الدمية(89)، إذ عمدوا اول الامر عل تقطيع ملابسه ورمياها في الهواء ثم انزلوا الرتب والاوسمة والقوا بها على الارض حيث داسوا عليها بأقدامهم ثم ضربوا الدمية حتى سقطت ارضا فاسرع الجلاد الى لف حبل حول عنقها وعلقها على المشنقة، ثم توجوا بعد ذلك وبحسب ما جرت عليه عاداتهم الى انتخاب بديل عن مازيبا لقادتهم(90).

وفي الوقت الذي كان فيه الروس والقوزاق منشغلين بمحاكم مازيبا غيابيا كان السويديون يعدون العدة لأنهاء حرب الشمال عبر سيطرتهم على موسكو نفسها ، ولذلك قرروا التوجه نحوها عام 1708 فكان ان التقى الطرفان في موقعة بولتافا الشهيرة التي رسمت نهاية الحرب عملياً على الاقل بالنسبة للسويد.

المبحث الثالث: معركة بولتافا عام 1709 .

أخيراً وفي عام 1708، قرر ملك السويد عبور نهر Dnieper ، والتقدم نحو العاصمة موسكو، فغادر الملك تشارلز الثاني عشر منطقة Saxony ، وبصحبته 43 الف رجل بعد ان ترك عشرة الاف رجل من قواته لدعم ستاسيلانس الذي نصبه على عرش بولندا بدلاً من أوغسطس[91]، وزحف باتجاه نيمين Niemen ، اما بيتر فنطلق هو الاخر من موسكو للالتحاق بجيشه عند كرودنو Grodno ، وهناك علم بان الملك تشارلز عبر مدينة ويجست Weichset ، او مدينة فيستولا Vistula اللتان كانتا تحت حراسة Miihlenfeld ، الذي هرب وسلمها للسويديين من دون قتال، وواصل التقدم نحو كرودنو ، ومن ثم جمع قواته على ضفة النهر ، ما اضطر بيتر بدوره لجمع قواته على الضفة الاخرى للنهر للدفاع عن العاصمة[92].

لقد كان تحرك السويد ذلك مجرد خدعة من قبل الملك الشاب الذي ترك قسم من رجاله مقيمين في ذلك المعسكر وتحرك سراً مع قسم اخر من جنوده لعبور النهر من مسافة ثلاثة اميال عن موقع معسكره، وحين نجح في العبور وتفاجأت به القوات الروسية لم تتمكن من التصدي له وقررت ان تترك له كل الاراضي التي كانت تحت سيطرتها، ونتيجة لما كان يعانيه القيصر من المشاكل والاضطرابات الداخلية، التي كان اقلها اندلاع تمرد بولفين Bulavian[93]، في مركز الدون، والمشاكل مع القوزاق[94]، فانه عرض على الملك تشارلز وعبر المبعوث الفرنسي في قصر Saxony،[95]. سحب القوات الروسية في مقابل حصوله على ميناء واحد على سواحل البلطيق، الا ان ملك السويد كان قد انتشى بعبوره للنهر واعتقد بانه بات قريباً من العاصمة موسكو، وانه ليس بحاجة لعقد الصلح لذلك طلب من المبعوث ان يبلغ بيتر قائلاً "**أني سأعالج الامر مع أخي بيتر في موسكو**"[96]. فأجاب بيتر العظيم من جهته قائلاً : " **أن أخي تشارلز يريد ان يمثل دور الاسكندر، الا انه لن يجد فيَّ داريوس**"[97].

في تلك الاثناء وبينما كانت الاحداث تتسارع في روسيا، كان ملك السويد تشارلز الثاني عشر، يشق طريقه بصورة تدريجية نحو الغرب والجنوب، اي نحو قلب الاملاك الروسية، فلم يكن أمام قوات القيصر الروسي العاجزة عن التصدي للقوات السويدية، سوى الانسحاب امامها، غير انهم عمدوا في طريق انسحابهم الى تدمير كل شيء يمكن للقوات السويدية الافادة منه، إذ حطموا كل الجسور

وعرقلوا الطرق بكل الوسائل الممكنة بغية عرقلة مسير القوات السويدية قدر المستطاع ، بما انهم لا يملكون القدرة على ايقافه[98]. وقد اثر ذلك على الحملة السويدية التي كانت تمر بأوقات عصيبة زاد منها حالة الضعف والانهاك الذي كانت تعانيه بسبب فصل الشتاء القاسي والذي اثر على معنويات المقاتلين بعد ان قلت تجهيزاتهم وتسبب في الموت العديد منهم ،بل ان الملك تشارلز نفسه عبر في رسالة بعث بها لإحدى شقيقاته عن مدى قساوة الشتاء وتأثيره على مقاتليه قائلاً : " **ان هذا الشتاء بارد جداً ، وان العديد من اعدائنا كما جنودنا يتجمدون من وقت لأخر حتى الموت، او يفقدون اجزاء من ايديهم وارجلهم بل وحتى انوفهم الوسيمة، ولكن على الرغم من ذلك فان فصل الشتاء لم يخلوا من المتعة**"[99].

عبر تشارلز في 1 كانون الثاني 1708، منطقة vistula ، المنجمدة مع جيش قوامه 45،000 واخذ يتقدم بصورة جيدة ، الا انه وقبل انتظار ذوبان الثلج في الربيع قرب منسك Minsk ، اخذ يقوم بمعارك صغيرة تمكن في بعضها من تحقيق الانتصارات اول الامر، ونجح في 4 تموز 1708 من هزيمة قوات روسية كانت تحرس نهر Bibtch ، في موقعة Holowczyn ، ما دفع بيتر لاتباع سياسة الارض المحروقة واخذ يتراجع امام السويديين ببطء وهو يحرق كل المحاصيل والمزروعات[100] ، فما كان من الجيش السويدي الا ان استمر بتقدمه باتجاه اوكرانيا حيث كان يأمل ان يساعده القوزاق ،كما طلب في الوقت نفسه قوة مساعدة من السويد لتنظم اليه ، الا ان الروس تمكنوا من القضاء على تلك القافلة التي كانت تضم احد عشر الف رجل مع المؤن والتجهيزات بقيادة ليفينفا Lewenhaupt في موقعة ليسنايا في ايلول 1708[101].

تحرك السويديون بدورهم ببطء وأرسلوا مجموعات منهم لمسافات طويلة بغية تأمين الغذاء لهم ولدوابهم، وحين وجدوا ان الروس حطموا كل الجسور، عمدوا الى الالتفاف عبر مناطق اخرى، كما عملوا على ازالة العوائق التي وضعها الروس لعرقلتهم، وحينما كانوا يعجزون عن ذلك كانوا يعمدون الى فتح طرق جديدة، وغالباً ما كانوا يصنعون طوافات لعبور المستنقعات وذلك بقطع فروع الاشجار وربطها مع بعضها البعض فيما يعرف Fascines، ومن ثم وضعها في المستنقعات للعبور عليها[102].

وبعد جهد كبير التقى الطرفان في موقعة بولتافا في 27 حزيران / 8 تموز 1709، وهي بلدة تقع على نهر صغير يتدفق الى الجنوب والغرب الى نهر دنبير، في قلب الاراضي الروسية على بعد ثلاثة او اربعة اميال شمال البحر الاسود، وكانت في ذلك الوقت محطة عسكرية مهمة، كما كانت تحوي ترسانة كبيرة من مخازن الغذاء والسلاح المخصصة للقوات الروسية، ولذلك صمم ملك السويد تشارلز الثاني عشر الاستيلاء على هذه البلدة، وربما كان هدفه من ذلك الافادة من الموارد المخزنة فيها لتجهيز قواته، وعلى الرغم من ان البلدة كانت محصنة بحامية عسكرية، غير انه أصر على الاستيلاء عليها فتقدم وفقاً لذلك نحو المدينة واستثمر المكان وفرض الحصار عليها[103].

كان الجنرال مانزكوف Menzikoff ، قائد القوات الروسية المرابطة في تلك البلدة والمسؤولة عن حمايتها، فعمد للتقدم بقواته نحو معسكر القوات السويدية حينما علم برغبتهم في محاصرة البلدة، لتخفيف الضغط عنها، واشتبك الطرفان ولمدة من الزمن بسلسلة من المناورات والمعارك الجزئية، بذل فيها الجيش السويدي جهداً مضاعفاً، إذ كان عليه أن يهاجم البلدة من جهة، وان يتصدى في الوقت نفسه لهجمات الجنرال مانزكوف ورجاله من جهة اخرى، فيما كان مانزكوف بدروه مصمماً على تخفيف الضغط عن المدينة ومحاولة اغاثتها وتخفيف الحصار المفوض عليها[104].

تمكن الجنرال مانزكوف من تحقيق الكثير من النجاحات في تلك المعارك، إذ نجح في اعادة قسم من قواته الى داخل البلدة لتقوية الحامية الموجودة فيها، الامر الذي اثار غضب الملك السويدي تشارلز الثاني عشر وزاد من تصميمه على اجتياح البلدة، وفي ظل هذه الحماسة تقدم نحو جدران البلدة بطريقة مستميتة أدت الى انكشاف قواته وجعلها عرضة لنيران المدفعية، فأصيب هو شخصياً في قدمه وتحديداً عند كعبه[105]، ما اضطره الى التراجع بل واسهم في تأخير الحملة مدة من الزمن بعد ان اجبر على ملازمة خيمته التي حاول من داخلها اصدار اوامره ومتابعة القتال[106].

زاد من مشاكله واضطراب موقفه اشاعة اخبار تتحدث عن قرب وصول القيصر بيتر العظيم لنجدة المدينة وبصحبته جيش كبير جداً ، وانه بات على مسافة قريبة من معسكر القوات السويدية، ففكر تشارلز الثاني عشر في الكيفية التي يمكن ان يتخلص فيها من هذا الموقف، لاسيما مع تعذر سحب قواته العسكرية فعبوره النهر جعل من المستحيل نجاح اي عملية انسحاب يقوم بها لجيشه ، ذلك ان عبور قواته النهر سيمنح القوات الروسية الفرصة المناسبة للانقضاض عليها

وتمزيقها الى اشلاء، ولذلك قضى الليل في خيمته وهو ينازع الم الجراح من جهة وضغط الموقف من جهة أخرى[107].

وأخيرا قرر تنفيذ عملية هجوم واسعة على القوات الروسية، مستفيداً من عديد قواته وقبل ان تصل قوات بيتر العظيم لنجدة المدينة، فارسل في طلب قائد العسكر الذي حضر للخيمة في منتصف الليل وحين دخل طلب اليه الملك ان يستعد مع جنوده لمهاجمة القوات الروسية مع بزوغ ضوء الشمس، فاندهش القائد كثيراً من طلب الملك، لاسيما وانه يدرك ان القوات الروسية مستعدة لأي نوع من هذا الهجوم، وان الامل الوحيد لدى الملك السويدي هو اما البقاء في المعسكرات لحماية الجنود، او محاولة التراجع، لكنه كان يعلم بان الملك لن يستمع له وما عليه سوى اطاعته بعد ان ابلغه بانه "**يرسل الجنود الى الاعدام**"[108].

وعلى الرغم من ان القيصر الروسي بيتر لم يكن هو قائد تلك القوات [لقد عرف عن بيتر التزامه الصارم بالتراتبية العسكرية وظل لمدة طويلة يعمل معاون لمن هم اعلى منه رتبة من الضباط]، فان القوات الروسية استعدت جيداً للمعركة[109]، فقد وزع بيتر العظيم جيشه باحتراف فوضع القلب تحت أمرة شيرماتيف Sheremetief وعلى الميمنة رينيه Renne ، وعلى الميسرة مينشاكوف Menshikof ، فيما وضع المدفعية تحت أمرة الجنرال بروس Bruce ، وجمع قواته وحفزهم على القتال قائلاً " **لقد حلت الساعة التي ستقرر مصير بلادنا ، لا تظنون انكم تقاتلون من أجل بيتر ؟ ، بل من أجل الامبراطورية التي أوكلت الى بيتر؟، انه لبلادنا ، لأجل ايماننا الارثوذكسي، لكنيسة الله، اما بالنسبة لبيتر فانه يعرف بانه مستعد للتضحية بحياته من أجل مستقبل مزدهر ومجيد لروسيا**"[110].

تمكن بيتر العظيم في موقعة بولتافا Poltova ، عام 1709، من هزيمة السويديين بصورة قاسية، واضطر جيشهم الى الاستسلام بالكامل[111].ولم يسلم من الجيش الذي ارتعدت منه أوربا يوماً سوى كتيبة واحدة بعد ان استسلم بأكمله لبيتر العظيم، ومثلما حدث واصيب ملك السويد في المعركة فان القيصر الروسي اصابة رصاصة القبعة التي كان يرتديها وكادت ان تودي بحياته [112]، وعلى الرغم من ان المعركة انتهت لصالح الروس الا ان القيصر الروسي أظهر الحزن حينما سمع باحتمال

مقتل الملك تشارلز الثاني عشر في المعركة، لأنه كان يحترمه لشجاعته وجرأته العسكرية، ولذلك اعطى الاوامر لجنوده بالبحث عن جثمانه وان تجرى له مراسيم دفن مشرفة تليق بملك[113].

وفي التاسع والعشرين من حزيران لحق افواج منشاكوف ببقايا الجيش السويدي حيث أدركهم عند منطقة تدعا بيريغولوتشنا ، واستسلم له بلا قتال اكثر من 17 الف اسير وغنموا 28 مدفع، كما اسرع في ارسال كتيبة من الفرسان بقيادة مانزكوف الى بولندا لمساعدة أوغسطس على استعادة عرشه الذي سبق وان سلبه اياه الملك تشارلز الثاني عشر ومنحه الى ملك اخر تابع له[114]، وفي السابع من تشرين الأول 1709 دخل أوغسطس وارشوا واعلن نفسه ملك على بولندا مرة أخرى[115]، كما اعادت الدنمارك السيطرة على الشيلزفيك اضافة الى Bremen ، وفيردين Verden ، فيما احتل جيش دنماركي اخر Skane ، في جنوب السويد وغزا جيش سكسوني وبولندي ودنماركي منطقة بوميرانيا Bomerania ، السويدية (حالياً تمثل الساحل البولندي)[116].

المبحث الرابع : التطورات السياسية والعسكرية للحرب 1710- 1721.

حينما انهزم الملك تشارلز الثاني عشر في موقعة بولتافا في الثامن من تموز عام 1709، لجأ مع مازيبا الى الدولة العثمانية واستقبلا من قبل السلطان العثماني بحفاوة كبيرة[117]، وعلى الرغم من ذلك فان السلطان أظهر أول الامر عدم رغبته الاستجابة لطلب الملك السويدي في مساعدته لاستعادة عرشه لأنه لم يكن الاخلال بالسلام مع روسيا فقط من أجل اعادة ملك السويد لعرشه، الا ان الامور سرعان ما ساءت حينما طلب بيتر العظيم من السلطان عدم السماح ببقاء تشارلز الثاني عشر على الاراضي العثمانية، اضافة الى مطالبته بتسليم مازيبا لمعاقبته على خيانته للقيصر[118].

أتخذ تشارلز الثاني عشر أول الامر من مدينة Oczakow ، مقراً له ، لكنه سرعان ما غادرها الى مدينة بندر Bander، حيث تم تشكيل فرقة صغيرة لحمايته، وفي ذلك الوقت تمكنت القوات الروسية من القضاء على قوة سويدية أخرى كانت أنشأت في مولدافيا Moldavia لدعم تحركات تشارلز الثاني عشر، بعد ان تمكنت من عبور الحدود وفاجأتها بالقرب من Gzarnowicz ، فاستولت عليها بالكامل واقتادت عناصرها سجناء لروسيا، وقد اثار هذا التصرف غضب الباب العالي معتبراً اياها " **الانتهاك**" للأراضي العثمانية ، وكادت الحرب ان تقع بين الطرفين لولا الجهود الكبيرة التي بذلها الوزير المفوض الروسي في الدولة العثمانية تولسكوي Tolskoi ، يساعده في ذلك الوزير الاعظم قومرجي علي (Tschuli Ali)، الذي كان مع ابقاء السلام قائم مع روسيا، وعارض بقوة طلبات تشارلز الثاني عشر بتزويده 30,000 الف مقاتل من السباهية (Spahis) ، و20,000 الف من الانكشارية لمرافقته عبر بولندا باتجاه السويد وكان أرسال مثل هكذا قوة يعني اثارة العداء مع روسيا وبولندا على حداً سواء[119].

اسهمت كثرة الاعتداءات التي كانت تقوم بها القوات الروسية [120]. وما تثيره من سخط رعايا السلطان من جهة ، والمحاولات التي كان يقوم بها وكلاء الملك تشارلز في مقر السلطان من جهة ثانية، في اثارة السلطان ضد الروس ولاسيما بعد الجهود التي بذلها خان القرم Dewlet Chirai في اثارة السلطان وتحفيزه لإعلان الحرب على روسيا، وكان خان القرم اشد لهفة من الملك تشارلز الثاني عشر لرؤية الحرب تقع بين الدولة العثمانية وروسيا[121]، ولذلك عمل على اثارة مخاوف السلطان من التحصينات التي كان يقوم الروس بها في مناطق قريبة من املاك الدولة العثمانية

كبنائهم حصن عند مدينة Kamienska ، التي تقع على مسافة قريبة من Perekop ، وبنائهم قلعة في Samandjik ، التي تقع بالقرب من سامارا ودنبير ، وتشيدهم لقلعة ثالثة في Taijhar بالقرب من ازوف وتحصينهم لميناء جديد في Taganrok والى جانب كل ذلك تشكيلهم لأسطول صغير في تلك المنطقة[122].

طرق كل ذلك جرس الانذار بالنسبة لخان القرم الذي نجح في الاتصال بالسلطان وبونيتويسكي Poniatowski ، وكيل الملك تشارلز لدى السلطان وصورا لهما بأن تلك التحضيرات تهدف للاستيلاء على القرم وربما بعدها القسطنطينية ، ويظهر ان تلك الاعمال أتت أكلها حين تم اعتقال الوزير الروسي المفوض لدى السلطان وسجنه في قلعة الابراج السبعة ومن ثم اعلان الحرب رسمياً على روسيا في الثامن والعشرين من تشرين الثاني عام 1710[123].

وفي الوقت الذي كان فيه بيتر العظيم يكذب خبر مرضه ، يصحبه جيش مكون من 24,000 ، الف مقتل فقط، كان عليه ان يواجه الجيش العثماني التتري المكون من 200,000 مقاتل متمرس، وبقيادة عدد من الجنرالات الماهرين من بقايا جيش الملك تشارلز الثاني عشر[124]. ولذا اسرع ودخل مولدافيا Moldavia ، الا انه اضطر للتراجع عن ذلك امام كثرة احتياجات جيشه من جهة، وعديد الجيوش التركية والتترية على ضفتي نهر Prut من جهة ثانية[125] .

ومما لاشك فيه ان تلك المدة كانت من أسوء المراحل التي عاشها القيصر بيتر العظيم في حياته، فكل ما عمل من أجله طيلة حياته على وشك ان يزول وظهر وبحسب تعبير احد المؤرخين بان " **حتى المعجزة لم يكن بإمكانها انقاذه**" ، لدرجة وصل معها الحد ان كتب بيتر العظيم رسالة في 10 تموز الى مجلس الشيوخ الروسي يخبرهم فيها بانه يتوقع "**أما ان يقتل او ان يتم اسره ، وفي تلك الحالة فانه لن يعامل كملك**"[126]، وفي ذلك الوقت الحرج أقترح أحد رجاله عليه قائلاً " **طمع الباب العالي وحبه للذهب أكبر واهم لديه من اي مجد** "[127]، ولذلك اسرع بيتر فعرض على الباب العالي التوصل لاتفاق يمنحه بموجبه 200,000 الف قطعة ذهبية جمعت على عجل، فيما ضمن بيتر للسلطان العثماني عودة الملك تشارلز الثاني عشر لبلاده دون اي تدخل من روسيا، الى جانب تخلي بيتر عن أزوف لصالح الدولة العثمانية وفق معاهدة بروث Pruth ، وسحب سفيره من

القسطنطينية[128]، وعلى الرغم من الالم الذي شعر به بيتر العظيم وهو يتخلى عن أزوف ويخرج اسطوله الى البحار الجنوبية، الا ان السلام بالنسبة له في تلك المرحلة كان اغلى واثمن[129].

وبموجب هذا الاتفاق كتب السلطان العثماني رسالة الى الملك تشارلز الثاني عشر يبلغه بقدرته على العودة لبلاده ، كما أرسل له 10,000 دوقيه نفقات لرحلته، ومجموعة من الخيول هدية من الوزير الاعظم، وعلى الرغم من ان الملك السويدي قبل الهدية غير انه لم يتخذ اي اجراء لمغادرة الاراضي العثمانية ، ما ازعج السلطان الذي اراد تجنب بقاءه على اراضيه، الا انه فشل في اقناعه بمغادرة الاراضي العثمانية[130].

غضب الملك تشارلز مما اعتبره "شروط سهلة"، في معاهدة بروث ، وبعد ان أمضى اربع سنوات أخرى في تركيا ، عاد الى بلاده في 11 تشرين الثاني 1714، وفي تلك الاثناء كانت حرب الشمال العظمى مستمرة على الرغم من الهزائم السويدية المتكررة، وقد نفثت عودة تشارلز الروح من جديد لدى السويديون ، فرفض تشارلز توقيع أي معاهدة للسلام فقرر مهاجمة النرويج في عام 1716، ثم هاجم الدنمارك 1717 –1718، وهي الحملة التي خسر فيها تشارلز حياته بعد ان أصيب بطلق ناري اثناء حصار Fredriksten ، في 11 كانون الأول 1718 [131].

لقد اثار انتصار روسيا على السويد وتوقيعها لمعاهدة سلام معها، قلق الملك جورج الاول(George I) (1660–1727)[132]، ملك بريطانيا، ليس فقط بسبب النجاحات العسكرية التي حققتها روسيا على السويد، بل وبسبب النمو الكبير الذي شهدته البحرية في عهد بيتر العظيم وما أظهرته من دور خلال حرب الشمال العظمى، ولذلك قرر البدء باتباع سياسات معادية لروسيا، لتدخل العلاقات منذ ذلك التاريخ أي 1719 مرحلة جديدة بين الطرفين اتسمت اغلب ملامحها بالتوتر والعداء بل والقطيعة في احيان كثيرة، وفي وسط الصراع الخفي بين روسيا وبريطانيا العظمى، انهارت السويد في اعقاب موت تشارلز الثاني عشر وبات املها الوحيد الحصول على مساعدات عسكرية ومالية من بريطانيا العظمى مقابل تقديمها لبعض التنازلات الاقليمية[133].

وفي 19 كانون الثاني 1719، ابلغ الوزير السويدي المفوض في كونغرس الاند Aland [134]، الكونت كارل كيلنبورغ (Karl Gyllenborq)، الوفد الروسي المفاوض بان ملك السويد قتل اثناء حملة حصار Frederiksten ،في النروج، واعلن لهم ان شقيقته اولريكا اليونورا (Ulrika –

Eleanora)[135]، البالغة من العمر 30 عاماً ستعتلي عرش السويد، وسرعان ما صدرت هذه المعلومات باوكازا رسمي في الرابع من شباط من العام التالي، قدمت بصورة رسمية للوفد المفاوض الذي كان يضم المستشار الخاص للقيصر الكونت اندري ايفانوفش اوسترمان (Andrei Ivanovich Osterman)، وضابط الاعاشة البارون يعقوب بروسي (Jacob Bruce)[136].

كان تصرف الكونت ذلك ينبع من المخاوف التي اثيرت حول احقية من يتولى العرش بعد الملك الراحل، لاسيما مع عدم وجود وريث معلن بصورة رسمية، اذ ان الملك تشارلز الثاني عشر لم يسم أحد لخلافته، وبحسب الدستور السويدي الذي كان معمول به فان العرش كان يفترض ان ينتقل لاحد اخوة الملك، غير ان تشارلز لم يكن لديه احد وكان يفترض بالعرش ان ينتقل الى ابن اخيه دوق هولشتاين–غوتورب (Holstein –Gottorp) تشارلز فردريك (Charles Frederick) الذي كان يرافق حينها تشارلز الثاني عشر في حملته على النروج التي قتل فيها، فلم يتمكن من المطالبة بعرشه الذي ذهب الى شقيقة تشارلز الثاني عشر اولريكا التي اعتلت العرش رسمياً في كانون الثاني 1719[137]. بعد تعهدها لضباط الجيش والقوى السياسية الموجود والتزامها بعدم اقامة حكم استبدادي جديد في البلاد[138].

في ذلك الوقت كان بيتر في سات بيتراسبورغ يستعد للتوجه بحملة الى اولنيتس Olonets ، بهدف " **أخذ المياه**"، حينما وصلت رسالة من الوفد تخبره بموت الملك تشارلز ، فقيل ان بيتر بكى كثيراً حينما سمع الخبر واعلن الحداد لمدة اسبوع في بلاده، ومع ذلك فان موت تشارلز لم يؤخر او يغير استعداده للحملة الجديدة على السويد، وفي ذلك الوقت تحديداً سلم الوزير المفوض السويدي الكونت كارل الوزير المفوض الروسي بروس رسالة من الملكة الجديدة الى القيصر الروسي تعلن فيها رسمياً وفاة اخيها وتبدي رغبتها في عقد معاهدة للسلام والصداقة مع القيصر، وقد تفاعل الوفد من جهته بإيجابية مع هذه الرسالة[139].

وفي تلك الاثناء وحين كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق لتجهيز الحملة الجديدة على السويد تلقى القيصر الرسالة وبعث بدوره برد عليها عبر مبعوث خاص هو العميد بيتر ليفورت (Peter Lefort)، في الثالث من نيسان 1719، عرض فيها تعازيه رسمياً بموت الملك تشارلز الثاني عشر وهنأها بتوليها العرش السويدي، وعبر عن رغبته في رؤية نهاية للحرب واعادة السلام

الى المنطقة البلطيقية الشمالية، ومع تلك المشاعر فانه حذر السويد من مغبه التعامل ببرود مع المسألة " **اذا لم يستعدوا للتفاوض بطريقة جدية وفورية**" فان النتائج ستكون وخيمة فالقيصر وبحسب الرسالة " **لا رغبة له في ان تستمر المفاوضات على المدى البعيد**"[140].

وفي السياق نفسه ابلغ العميد ليفورت نظيره المبعوث السويدي بان القيصر سيعرض على الملكة ذات الشروط التي عرضها من قبل على اخيها عام 1718 للقبول بالسلام، وحذرهم من السماح لطرف اخر في التدخل في النزاع بين الطرفين، ومع ذلك فان القيصر طلب من العميد عرض تلك الشروط ، لأنه كان يشك بوجود مفاوضات سرية بين السويد وبريطانيا العظمى ، أو أي من الاطراف الاخرى التي كانت مشتركة في الحرب، لاسيما وان الجهود الدبلوماسية لبريطانيا العظمى برزت على السطح على شاكلة وساطة فاشلة مع الروس عبر وزيرهم في ستوكهولم اللورد جون كارتيرت (John Carteret)[141].

وخلال اجتماعه مع أمير –هس كاسيل " زوج ملكة السويد"، في الثاني من حزيران ابُلغ العميد ليفورت بان شروط القيصر للسلام غير مقبولة من قبل السويد، ثم سأله فيما اذا كان يملك اي شروط او مقترحات اخرى من القيصر، ومما زاد من صعوبة بعثة ليفورت اصرار الوفد المفاوض الروسي على ضرورة اشراك البروسين في تلك المفاوضات في وقت كانت فيه عواصم دول مثل السويد وبريطانيا ولندن ترفض مجرد استقبالهم فضلاً عن اشراكهم في المفاوضات، والى جانب هذه العقبة واجهت بعثة ليفورت عقبة اخرى وهي رفض حكومة السويد التنازل للروس عن اي مناطق اخرى عدا المناطق التي حصلوا عليها كنارفا وانغريا والجزء الجنوبي من برزخ كارليان Karelian [142].

لقد كان اصرار المكلة السويدية على تلك المطالب نتيجة جهود الدبلوماسية البريطانية خلف الكواليس، والتي نجحت في اقناع السويد بالمطالبة بإعادة كل من ليفونيا واستونيا، بعد ان اقنعوا الملكة الجديدة بانها يمكنها ان تستعيد عن طريق الدبلوماسية ما عجز تشارلز الثاني عشر استرجاعه عن طريق القوة، وكان هدف البريطانيون استغلال قلة خبرة الملكة عبر اقناعها بمخاطر وضع روسيا يدها على هانوفر والمحافظات السويدية الاخرى في كل من بريمن Bremen وفيردين على حساب السويد وبروسيا[143].

دفع التدخل البريطاني في الشؤون السويدية ومحاولة اعاقة عقد معاهدة معها ، القيصر بيتر بقيادة حملة جديدة لإجبار السويد على الرضوخ للمعاهدة لاسيما بعد عن سمع بوجود معاهدة سرية عقدت بين بريطانيا وبولندا والنمسا [144]، في فينا في الخامس من كانون الثاني 1719، تقضي بمنع القوات الروسية من المرور بأراضي تلك الدول وخصوصاً بولندا، ودعت لأرسال الاسطول الانكليزي الى البلطيق، كما تخلت السويد وبدعم من بريطانيا العظمى عن Stettin، وبعض المناطق الاخرى من املاكها في بوميرانيا لصالح بروسيا من اجل خلق تحالف ضد روسيا، وكانت تعتقد ان ذلك بداية لتحالف دولي سيشكل ضد الخطر الروسي، ولذلك اسرعت في حزيران لتوقيع معاهدة سلام مع الدنمارك استثنتها فيها من الضرائب التجارية ، كما تعهدت لها بعدم دعم دوقية هولشتاين ضدها مرة ثانية، وعلى الرغم من تلك التحركات فان الاسطول البريطاني بقيادة نوريس Norris، لم يجد اي تحركات ضد القواعد الروسية على السواحل البلطيقية [145]، بل ان التحالف نفسه كان في خطر بسبب ارتداد بروسيا عن التزاماتها، فما ان حصلت على مطالبها لم تعد مهتمة كثيراً بالسويد بل ان بريطانيا نفسها لم تقدم شيء بسبب الازمة المالية الكبيرة التي كانت تمر بها وعرفت بمصطلح " فقاعة البحر الجنوبي"(South sea Bubble) والتي اجبرتها على فرض رقابة مؤقتة على نشاطاتها التجارية الخارجية، اما صاحبة الشأن السويد فكانت ضعيفة ومنهكة ولم تتمكن من فعل شيء[146].

ولإيقاف الجهود البريطانية اسرع القيصر الروسي بدوره لتوقيع معاهدة مع ملك بروسيا فردريك الاول (Frederick William I) في منتصف عام 1719، تعهدت فيها الطرفين "**بمنع انضمام بولندا الى معاهدة فينا ، او السماح بتأسيس حكم مطلق سكسوني**"[147]، فدفع اجراء بيتر ذلك، البرلمان البريطاني لرفض المصادقة على معاهدة فينا عام 1719، فيما شعر اوغسطس الثاني من جهته بخطأ تصرفه فاسرع وتخلى عن المعاهدة لحساب التزاماته السابقة مع روسيا[148].

أدرك السويديون بين عامي 1719–1720، بان الروس يستخدمون سيطرتهم على البلطيق لشن هجمات على السويد، ما دفع السويد في نهاية المطاف لطلب السلام[149]، وبعد مفاوضات مع الدنمارك وبولندا وسكسونيا وقع خليفة الملك تشارلز وهما الاخت اولريكا وزوجها فردريك الاول Frederick I على معاهدة نيستد Nystad في 30 اب 1721 [150]، التي ابقت فيها روسيا سيطرتها على اغلب ساحل البلطيق ، فيما ارجعت فنلندا الى حضيرة السويد، ووقعت ضمانات على عدم عودتها للحرب[151].

هكذا فان البلطيق وصل الى ايدي جديدة وبحسب أحد المؤرخين " **ان النافذة التي تفتح على الغرب، أصبحت باب وان مفتاح الباب سيبقى في الجانب الروسي**"[152]، ولم يتمكن أحد من أن يؤدي مرة ثانية الدور الذي لعبه ذات مرة اشخاص من قبيل غوستافوس ادولفوس (Gustavus adolphus)[153]، او تشارلز الثاني عشر، وتحول البلطيق لنفوذ قوة أوربية جديدة صاعدة وعظيمة بعد ان نجحت في القضاء على حلم إقامة امبراطورية اسكندنافية عظيمة، وقد سمح كل ذلك لروسيا ان تدخل الى عائلة الدول الاوربية دخول المنتصر[154].

الخاتمة

لم تكن حرب الشمال العظمى وكما مر بنا تمثل حربا عارضة اريد لها تحقيق مصلحة هنا او حاجة هناك، بل كانت حرب لأثبات الوجود التاريخي وتحقيق التفوق الازل، فمما لاشك فيها ان روسيا لم تكن على استعداد لإيقاف تلك الحرب تحت اي عذر او ظروف تحول دون حصولها على قسم من سواحل بحر البلطيق، ولو كان الحديث غير ذلك لكان وجب على روسيا ان تتوقف وان تنسحب من الحرب بعد أول هزيمة قاسية تعرضت لها وكلفتها الاف الرجال الى جانب ما خسرته من سمعة عسكرية وقيمة معنوية.

ان حرب الشمال العظمى كان يمكن ان تنتهي من طرف السويد على الاقل في وقت مبكر من اندلاعها وتحديدا بعد ان الحق هزائم متتالية بكل من الدنمارك وروسيا وبولندا على التعاقب، غير ان غرور الملك الشاب ونشوته بالانتصارات ، اسهم في اطالة امد الحرب، ما ارتد سلباً عليه وعلى حلفائه في نهاية المطاف ، وما رفض منحه لروسيا بالهبة أرغم على إعطائه بالقوة.

على الرغم من ان بريطانيا العظمى ودول اخرى كانت طرفا في الحرب بصورة او بأخرى، غير انها لم تقدم الدعم العسكري والمادي الفاعل للسويد في حربه، وتركت روسيا وحلفائها يتفردون بها ويحطمونها على مدار واحد وعشرون عاماً ، واكتفت بتقدم الدعم السياسي والمبادرات الدبلوماسية التي لم تقدم شيئا للسويد لاسيما وان بريطانيا نفسها كانت تفتقر اليه في ضوء الازمة التي كانت تعانيها والتي عرفت " بفاقعة البحر الجنوبي".

لقد اسهم وجود شخصين متناقضين في الصفات على رأس السلطة في كل من روسيا والسويد، في حسم هذه الحرب لصالح روسيا وحلفائها، فلم يكن لتشارلز الثاني عشر ملك السويد الشاب اليافع عديم الخبرة مجاراة خبرة ودهاء شخص بحجم بيتر العظيم وخبرته السياسية والعسكرية التي كان يتمتع بها ولاسيما تلك التي اكتسبها من رحلاته المتكررة الى أوربا، وقد ظهر ذلك واضحاً في فشل تشارلز في تقدير الموقف العسكري واللوجستي لقواته عند شروعه بالهجوم على روسيا في موقعة بولتافا واصراره على تجاهل نصائح قادته وجنرالاته العسكرين ما ادى الى القضاء على جيشه بالكامل، بل على كامل القوة والمكانة السويدية في أوربا، وكان ذلك بعكس ما فعله بيتر العظيم الذي منح قيادة

قواته في كل المعارك لمن هم اعلى منه رتبة ولم يتجاوز السياقات العسكرية والتزام بما كان ينصحه به قواده، ونجاحة في اختيار الزمان والمكان المناسبين للمواجهة.

وعلى الرغم من أن الملك تشارلز الثاني عشر نجح في اثارة مخاوف الدولة العثمانية ودفعها للدخول في حرب مع روسيا على امل ان تسهم في استعادته لعرشه، غير ان فشل في توجيه هذه الحرب لصالحه، لاسيما مع وجود الوزير الاعظم العثماني الذي وقف بالضد من رغبته تلك وسعى لاحتوى الازمة مع روسيا بأضيق مراحلها ، ما فوت فرصة كبيرة على تشارلز الثاني عشر كان يمكن ان تساعده في استعادة عرشه، لاسيما وان روسيا كانت في اضعف مراحلها عند اندلاع تلك الحرب مع الدولة العثمانية.

واخير فان سرعة بيتر الكبير في تأسيس مدينة سات بيتراسبورغ اسهم كثيراً في تثبيت اقدام روسيا في تلك المناطق ومنحها القوة والقدرة على توجيه الحملات منها الى الساحل السويدي ، فكان لها دور عسكري ولوجستي مهم جداً ، ومكنها موقعها المتميز من ان تتحول بجدارة الى عاصمة روسيا السياسية ردحاً من الزمن ثم عاصمتها الاقتصادية حتى اليوم.

الهوامش والتعليقات

([1]) Edgar Wroblewski, Danish Norwegian Sailors during the great Northern Ear,"1700-1721", Unpublished master, University of Southern Denmark, 2013, P.

[2]( ) Jacob Abbott , Peter the Great , New york and London , 1902, P. 195.

([3]) بطرس الأكبر أو بيتر العظيم أو بيتر الأول أو بيوتر ألكسييفيتش رومانوف (بالروسية: Пётр I Алексеевич Pyotr I Alekséyevich) ولد في التاسع من حزيران/ 30 مايس 1672، حكم الإمبراطورية الروسية من [7 مايس/27 نيسان 1682]، حكم في أول الأمر مع أخيه غير الشقيق وفي عهده تحولت روسيا إلى واحدة من أقوى الإمبراطوريات في العالم، وطبقاً للعديد من المؤرخين فان أهمية بطرس لا تقف عند نجاحاته السياسية والعسكرية بل تكمن في قيادته لثورة ثقافية حلت محل التقليدي والنظم الاجتماعية والسياسية من القرون الوسطى، توفي في الثامن من شباط [28 نيسان 1725] وللمزيد حول الرجل وجهوده في تطوير روسيا، يراجع:

Ian. Grey, Peter the Great: Emperor of All Russia ,1960

[4]( ) M .N . Pokrovsky , History of Russia , " From the Earliest Times to the Rise of Commercial Capitalism" , translate and edited , J.D , Clarkson , London , P. 275.

([5]) The Cabinet Cyclopaedia , "Russia " , Vol. II, London , 1836, P. 8.

[6]( ) John .S .C .Abbott , The Empire … , P.332.

([7]) للنظر بتفاصيل سيطرة بيتر العظيم على ازوف يراجع :

The Cabinet Cyclopaedia , "Russia "…, PP. 10-11.

([8]) Alfred .Remband , A popular History of Russia "from the Earliest time to 1882", translated . L.B , Lang, Vol.II, Boston , P. 51.

([9]) Ibid, P. 51.

([10]) ولد في السابع والعشرين من تموز 1660، وكان نبيل من ايفونيا من اصول المانية بلطيقية، وعلى الرغم من انه ولد مواطن سويدي غير انه انتقد بشدة طريقة حكم تشارلز لمدينته ليفونيا ، ما اغضب الملك الذي امر باعتقاله وحكم عليه بالموت ، غير انه تمكن من الهرب الى أوربا، وخلال السنوات الاولى من الحرب أدى دور اساسي في الاتصال والتنسيق بين الحلفاء ، الا انه اعتقل في عام 1705 في بولندا وحوكم بتهمة الخيانة العظمى، وحينما عقد تشارلز الثاني عشر معاهدة Altranstadt في 1706 تسلم بموجبها باتكول من البولنديين حيث حبسه لمدة عام ثم اقدم على ضرب عنقه، في العاشر من تشرين الاول 1707، للمزيد يراجع :

The Columbia Electronic Encyclopedia® Copyright © 2013, Columbia University Press. Licensed from Columbia University Press.. www.cc.columbia.edu/cu/cup/

([11]) يلقب بالقوي وهرقل سكسونيا وصاحب اليد الحديدية، لشدة قوته البدنية، ولد في الثاني عشر من مايس 1670 ، وكان امير سكسونيا وملك بولندا وامير لتوانيا ، تحول للديانة الكاثوليكية الرومانية من اجل ان يصبح منتخب ضمن

الكومنولث البولندي اليثواني، عرف عنه حبه للهندسة والعمارة ، فهتم بالفن وبنى القصور في وارشوا، توفي في الاول من شباط 1733، للمزيد يراجع :

The Columbia Electronic Encyclopedia® Copyright © 2013, Columbia University Press. Licensed from Columbia University Press.. www.cc.columbia.edu/cu/cup/

([12]) ولد في الحادي عشر من تشرين الاول 1671، وورث عرش الدنمارك والنرويج عن والده كريستان الخامس، اعتمد سياسته على قطع العلاقات السويدية ومنعها من تمديد نفوذها ولذلك اشترك في حرب الشمال العظمى، توفي في الثاني عشر من تشرين الاول 1730، للمزيد يراجع:

[13]( ) Mary platt , Parmete , A Short history of Russia , New york , 1899 ,PP.124-125.

[14]( ) W.M. Flinders petrie and other , The book of history "history of all nations from Earliest time to the present ", Vol. XI, New york , London , 1921, P. 4498.

([15]) Ragnar Svanstrom and Carl Fredrik Palmstierna, Short history of Sweden, translated , Joan Bulman , Oxford, 1934, PP. 176-177.

([16]) يعرف كذلك بكارل الثاني عشر ، ولد في السابع عشر من حزيران 1682، وكان الابن الوحيد الباقي على قيد الحياة للملك تشارلز الحادي عشر، توفي بطلق ناري اصيب فيه خلال معارك حرب الشمال العظمى في الثلاثين من تشرين الثاني 1718ن للمزيد يراجع :

John .A, Gade, Charles the Twelfth "king of Sweden", Boston and New york , 1916.

[17]( ) R .Gossip , History of Russia “from the earliest times to 1880”, New york ,1942, P.120.

[18]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 195.

[19]( ) R .Gossip , History of Russia , …, P.120.

([20]) Alfred .Remband , A popular History …, P. 53.

)[21](Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 199.

([22]) Ragnar Svanstrom and Carl Fredrik Palmstierna, Short history …, PP. 176-177.

([23]) Ibid, PP. 176-177.

([24]) The Cabinet Cyclopaedia , “Russia “ …, P. 43.

[25]( ) W.M. Flinders petrie and other , The book of history "… , P. 4500.

[26]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 197.

[27]( ) Lucy .Cazalet , Short History of Russia , Oxford , 1915 , P .61.

[28]( ) M .N . Pokrovsky , History of Russia … , P. 275.

([29]) Alfred .Remband , A popular History …, PP. 53-54.

([30]) ولد وليام الثالث او وليام اورنج–ناسو، في الرابع من تشرين الاول عام 1650، كان حاكماً لمقاطعة اورنج في هولندا، ثم جي به ليصبح ملك على انكلترا في اعقاب الاطاحة بحكم الملك جيمس الثاني فيما عرف بالثورة المجيدة 1688، أدخل الكثير من الاصلاحات في البلاد خلال مدة حكمه التي شهدت الكثير من الاحداث ابرزها اندلاع حرب

الوراثة الاسبانية عام 1701، توفي في الثامن من اذار 1702، للمزيد حول وليام الثالث واحداث عصره ودوره في تاريخ انكلترا الحديث يراجع :

Nesca. A , Robb, William of Orange , London , William Heinemann 1962 ,

[31]( ) Quoted in : M .N . Pokrovsky , History of Russia … , P. 275.

[32]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 199.

[33]( ) Ibid, PP. 200 -203.

[34]( ) Ibid.

([35])W. Tooke , History of Russia…, P. 75.

[36]( ) Ferdinand Schevill, Apolitical history of Modern Europe , "from the reformation to the present day", New york , 1921 ,P. 295.

([37]) Alfred .Remband , A popular History …, P. 53.

([38]) The Cabinet Cyclopaedia , “Russia “ …, P. 44.

([39]) Alfred .Remband , A popular History …, P. 55.

([40]) W. Tooke , History of Russia …, P. 75.

[41]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , PP. 203- 204.

[42]( ) Quoted in : John .S .C .Abbott , The Empire of Russia “ its Rise and Present” ,New york , 1882, P.329.

[43]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , PP. 203- 204.

[44]( ) Ibid, P. 204.

[45]( ) Quoted in : John .S .C .Abbott , The Empire … , P.330.

([46]) The Cabinet Cyclopaedia , “Russia “ …, PP. 45-46.

[47]( ) R .Gossip , History of Russia , …, P.121.

([48]) The Cabinet Cyclopaedia , “Russia “ …, P. 47.

([49]) Alfred .Remband , A popular History …, P. 55.

[50]( ) Lucy .Cazalet , Short History … , P .62.

332.-John .S .C .Abbott , The Empire … , PP.331 [51](

[52]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , PP . 209-210.

[53]( ) Charles Morris , Historical Tales , … , P.155.

[54]( ) Ibid, P.155.

[55]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , PP. 210-211.

[56]( ) Charles Morris , Historical Tales , … , P.158.

[57]( ) John .S .C .Abbott , The Empire … , P.334.

[58]( ) John .S .C .Abbott , The Empire … ,335

[59]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , PP. 227-228.

[60]( ) Quoted in : John .S .C .Abbott , The Empire … , P.335.

[61]( ) R .Gossip , History of Russia , …, P.122.

([62]) ولد في العشرين من تشرين الأول 1677، وكان ملك على بولندا ودوقا للتوانيا وناخب في الامبراطورية الرومانية المقدسة، حين توفي اوغسطس الثاني عام 1733 ، اراد استعادة عرشه بدعم من فرنسا فعاد الى البلاد متنكر ونجح في الوصول الى العرش عبر انتخابه بأغلبية ساحقة، غير انه وقبل ان يتم تتويجه خشيت روسيا والنمسا في ان يسهم وصوله للعرش في خلق تحالف بين بولندا والسويد وفرنسا ولذلك غزا الاراضي البولندية واجبراه على الهرب حيث التجا في مدينة دينزك اول الامر، ثم غادرها قبل ان يحاصرها الجيش الروسي–النمساوي، عرفت عنه اهتمامه بالأنشطة العلمية فاسهم في تأسيس اكاديمية نانسي للعوم ووسع كليتها العسكرية، توفي في الثالث عشر من شباط 1769، للمزيد يراجع :

The Columbia Electronic Encyclopedia® Copyright © 2013, Columbia University Press. Licensed from Columbia University Press.. www.cc.columbia.edu/cu/cup/

([63]) ولد لويس الرابع عشر في الخامس من ايلول 1638، اعتلى العرش الفرنسي في الرابع عشر من ايار 1643، خلفا لأبيه لويس الثالث عشر، بسن الخامسة فقط تحت رعاية الكاردينال مازارين، لقب بملك الشمس لاهتمامه بالأدب والفن والعمارة وهو من شيد قصر فرساي الشهير في فرنسا، حكم فرنسا لمدى 54 عام بلغت فيها فرنسا ذروتها في كل المجالات، توفي في ايلول عام 1715، للمزيد يراجع:

Peter Robert .Campbell. Louis XIV, (1661–1715) ,London, 1993.

([64]) O .Hale , A history of Poland , New york , 1943, P. 181.

([65]) Ragnar Svanstrom and Carl Fredrik Palmstierna, Short history …, PP. 176-177.

([66]) حول الكيفية التي تم اعتقال الرجل بها وما صاحبها من تطورات واجراءات يراجع :

Alfred .Remband , A popular History …, P. 66 and after.

([67]) للمزيد حول الخلاف بين مارلبور وفرنسا في عهد لويس الرباع عشر يراجع :

Alfred .Remband , A popular History …, P. 63 and after.

([68]) هي الحرب التي نشبت بسبب وراثة العرش الاسباني، وقد بدأت بوادها بعد ان توفي ملك اسبانيا كارلوس الثاني دون ان يترك وريثاً للعرش ، ثم تبين لاحقاً بانه ترك العرش فليب دوق انجو، حفيد لويس الرابع عشر، فاصبح ملك على اسبانيا باسم فيليب الخامس، حينها طالب رأس الامبراطورية الرومانية المقدسة ليوبولد الاول، بأحقيته في وراثة العرش، ما قاد الى اندلاع الحرب التي وصلت الى قارة امريكا الشمالية حيث عرفت بحرب الملكة انن وبعد صراع مرير كلف أوربا الكثير اقر فيليب الخامس ملك على اسبانيا مقابل تنازله عن حقه في وراثة عرش فرنسا بموجب معاهدة اوتراخت التي انهت الحرب، للمزيد يراجع:

Henry Kamen ,The War of Succession in Spain 1700–15. Weidenfeld and Nicolson, 1969.

[69]( ) W.M. Flinders petrie and other , The book of history …, P. 4500.

[70]( ) Mary platt , Parmete , A Short history … , P. 125.

[71]( ) Ibid, P. 126.

[72]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 229.

([73]) كانت هذه الدولة تمثل دولة القوزاق الاوكرانية أسسها وسط اوكرانيا بوهدان خملنيستكي (Bohdan Khmelnytsky)، اثناء الانتفاضة الخملنستيكية (1648–1657) وعلى الرغم من انها تعهدت بولائها للمسكوفي (Muscovy)، غير انها في الواقع كانت تابعة اقليمياً الى الكومنولث البولندي اليثواني وكانت تضم منطقة وسط اوكريانا الحالية وجزء من منطقة روسية صغيرة تدعا ستارودوب (Starodub)، يراجع للمزيد:
The Columbia Electronic Encyclopedia® Copyright © 2013, Columbia University Press. Licensed from Columbia University Press.. www.cc.columbia.edu/cu/cup/

([74]) ولد في العشرين من اذار 1639، وكان من اشهر من حكموا الهيتمان نجح في جمع ثروة هائلة نتيجة امتلاكه لمساحات واسعة من الاراضي حتى بات من كبار ملاكها في أوربا، شهدت عهده بناء العديد من الكنائس على طراز الباروكي الاوكراني واسهم في بناء العديد من المدارس والمؤسسات التعليمية وسع أكاديمية Kyiv Mohyla ، لتتسع لألاف الطلاب، بعد خيانته لبيتر العظيم وضعت الكنيسة الارثوذكسية الروسية اللعنة على اسمها مع بداية القرن الثامن عشر، توفي بعد اشتراكه في حرب الشمال العظمى في الثاني من تشرين الاول 1709، يراجع للمزيد:
The Columbia Electronic Encyclopedia® Copyright © 2013, Columbia University Press. Licensed from Columbia University Press.. www.cc.columbia.edu/cu/cup/

([75]) The Cabinet Cyclopaedia , “Russia “ …, P. 67.

[76]( ) W .P. Cresson , The Cossacks , New york , 1919 , P. 113.

([77]) على الرغم من وجود عدة نظريات تحدثت عن أصل القنانة في روسيا وكيفية نشأتها، إلا أن هناك نظريتان تحظيان بالقبول من قبل الكثير من الباحثين، تشير الأولى إلى أن القنانة والاستعباد الذي ساد روسيا لقرون عديدة جاء بمرسوم حكومي يدعى (أوكازا الاستعباد)، وتفترض هذه النظرية بأن الحكومة هي من شرعنة لمسألة ترسيخ القنانة عبر مراسيمها التي كانت تصدرها على مر الزمن كما في مرسومها الصادر في عام 1592، والمعروف بمرسوم كودنوف، على الرغم من إن نص هذا القانون لم يعثر عليه في الوثائق الرسمية، أما النظرية الثانية عن أصل القنانة فتفترض بان نشؤها كان نشوءً طبيعياً تولد نتيجة طبيعة الحياة القاسية التي كان يعيشها الفلاحون، فكثرة الديون وتكرار اقتراضها من النبلاء واللوردات، واضطرارهم إلى تسديد تلك الديون عبر العمل بدل النقود، هو ما تسبب في نهاية المطاف إلى استعبادهم، ، وفي الواقع فان النظريتان لا يتقاطعان بل تكمل أحداهما الأخرى، إذ نعتقد بان نشوء القنانة وجدته حاجة الفلاحين للنبلاء واستقراضهم المتكرر للمال منهم ومع عدم قدرتهم على تسديد تلك الديون اخذوا يستبدلونها بالعمل، وكي تتمكن الدولة من تأطير تلك الحالة أخذت تصدر القوانين المتعلقة بها ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر قانون 1497، المعروف بقانون سانت جورج، والذي بموجبه تعهد النبلاء بدفع رواتب لمسني الفلاحين ممن يعيشون على الأرض، وقانون 1550، الذي تعهد فيه الفلاح بدوره ببذر المحاصيل الشتائية قبل ترك الحقل، وغيرها كثير، فكانت نتيجة كل ذلك أن تأصلت قضية القنانة وأصبحت جزء لا يتجزأ من التاريخ الأوربي عموماً والروسي خصوصاً وللمزيد يراجع:

Крестьянский вопрос в России в период правления Екатерины Великой.,htt: //www.bibiofond.ru/zakz

[78]( ) Mary platt , Parmete , A Short history … , P. 128.

([79]) يقال بان الرجل لم يكن راغباً في الدخول في الحرب في ذلك الوقت ، بعد ان قضى نصف قرن في الحروب ما اشعره بالتعب والانهاك ولاسيما بعد تقدم سنه ، ولذلك حينما وصلت مذكرة القيصر بيتر لاستدعائه ادعا المرض وظل لأسابيع جالساً في سريره متوارياً حتى عن رجاله، ولكنه بعد حين أخذ يستقبلهم ويصدر بعض الاوامر ولكن بصوت " معلول " ، وكان يردد على مسامعهم دائماً بان تفكيره " انحصر كلياً في الحياة الاخرى"، يراجع :

W .P. Cresson , The Cossack …. , P. 114.

[80]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 230.

[81]( ) Ibid, PP. 230-231.

[82]( ) Charles Morris , Historical Tales , “the Romances of Reality” , Toronto , 1903, P.152..

[83]( )W .P. Cresson , The Cossack …. , PP. 116-117.

[84]( ) Ibid, PP. 116-117.

[85]( ) Ibid.

[86]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , PP. 233-234.

[87]( ) Quoted in : Charles Morris , Historical Tales , … , P.152..

[88]( ) Ibid, P.152..

[89]( ) Ibid.

[90]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 235.

[91]( ) R .Gossip , History of Russia , …, P.122.

[92]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , PP. 227-228.

([93]) تعرف كذلك بتمرد او ثورة الافرواسترخاني ، حيث تمرد القوزاق الدون على حكم بيتر العظيم في روسيا، ما بين (1707–1708)، تحت قيادة Kandraty Bulevin وكان السبب الرئيس هو غضب روسيا من استقبالهم الفلاحون الروس الهاربين من القنانة ، حيث كانوا يلجئون لهذه المنطقة لما تتمته به من حكم ذاتي، لم تستمر الانتفاضة طويلاً اذا سرعان ما انتهت مع مقتل زعيما في عام 1708، للمزيد يراجع:

([94]) Alfred .Remband , A popular History …, P. 55.

([95]) The Cabinet Cyclopaedia , “Russia “ …, P. 62..

([96]) Quoted in : The Cabinet Cyclopaedia , “Russia “ …, P. 62.

[97]( ) Quoted in : Mary platt , Parmete , A Short history … , PP. 127-128.

[98]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 237.

[99]( ) Quoted in : John . A . Gade, Charles the Twelfth …, P. 224.

[100]( ) John . A . Gade, Charles the Twelfth …, P. 224.

[101]( ) W. Tooke , History of Russia "from the foundation the Monarchy by Rurik to the Accession of Catharine the Sccond ", Vol.II, London, 1800, P.85.

[102]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 237-238.

[103]( ) R .Gossip , History of Russia , …, P.120.

[104]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 240.

([105]) Alfred .Remband , A popular History …, P. 72.

([106]) The Cabinet Cyclopaedia , "Russia " …, P. 72..

[107]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 242.

[108]( ) Quoted in : Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 242.

[109]( ) R .Gossip , History of Russia , …, P.125.

([110])Quoted in : Alfred .Remband , A popular History …, P. 73.

[111]( ) Lucy .Cazalet , Short History … , P .62.

[112]( ) R .Gossip , History of Russia , …, P.126.

[113]( ) Jacob Abbott , Peter the Great … , P. 246.

([114]) O .Hale , A history of Poland .., P. 181.

[115]( ) W.M. Flinders petrie and other , The book of history …, P. 4500.

[116]( ) Quoted in : John .S .C .Abbott , The Empire … , P.340.

[117]( ) R .Gossip , History of Russia , …, P.126.

([118]) E .S .Creasy , History of the Ottoman Turks "from the beginning of their empire to the present time", Vol.II , London , 1856, P.111.

([119]) E .S .Creasy , History of the Ottoman …, PP.111-112.

([120]) The Cabinet Cyclopaedia , "Russia " …, P. 77.

([121]) Abdurahim ozer, The Ottoman Russian relations between the year 1774-1787, Unpublished master degree ,department of International relations , Bilkent University ,Ankara ,2008, P. 7.

([122]) E .S .Creasy , History of the Ottoman …, PP.114-115..

([123])Abdurahim ozer, The Ottoman Russian relations…, P. 7.

[124]( )Mary platt , Parmete , A Short history … , P. 132.

([125])Abdurahim ozer, The Ottoman Russian relations…, P. 7; Lucy .Cazalet , Short History … , P .62.

([126]) Quoted in , Carol. B . Stevens , Russia's Wars of emergence (1460-1730), London ,2007,P.267.

([127]) ذكرت بعض المصادر ان زوجته كاثرين هي من اشارت عليه بهذه الفكرة ، يراجع:
The Cabinet Cyclopaedia , "Russia " …, P. 81.

([128])Abdurahim ozer, The Ottoman Russian relations…, P. 9.

[129]( )Mary platt , Parmete , A Short history … , P. 132.

تأتي اهميتها في كونها خلصت بيتر وروسيا من الانهيار المؤكد والحتمي امام الدولة العثمانية، ومما يدلل على ان نظرته لذلك الاتفاق كانت مؤقتة ومرحلية، عدم التزامه بتحقيق اغلب البنود التي اتفق عليها مع العثمانيين بعد عودته لروسيا، ما اضطر الدولة العثمانية الى ان تعلن الحرب عليه مرة ثانية في عام 1713 ، والتي انتهت بتوقيع معاهدة ادرنة Edirne ، في الثامن عشر من تشرين الثاني 1713،

Abdurahim ozer, The Ottoman Russian relations…, P. 9.

([130]) E .S .Creasy , History of the Ottoman …, PP.112-113.

[131]( )Mary platt , Parmete , A Short history … , P. 132.

([132]) ولد جورج الاول في ولاية هانوفر في الثامن والعشرين من مايو 1660، وهو اول ملك يحكم بريطانيا وايرلندا عام 1714، وفي عام 1707، اصبح ناخب لهانوفر، اعتلى عرش بريطانيا بعمر الرابعة والخمسون في اعقاب وفاة الملكة آن ، توفي في حزيران 1727، للمزيد حول الرجل ودوره في تاريخ بريطانيا الحديث والمعاصر يراجع :
Ragnhild Hatton ,George I: Elector and King. Thames and Hudson London, 1978.

([133]) Ragnar Svanstrom and Carl Fredrik Palmstierna, Short history …, P .189.

([134]) عبارة عن آرخبيل يضم ستة الاف جزيرة، وتقع بين السويد وفنلندا ، وتتبع اليوم فنلندا وتتمتع بحكم ذاتي .

([135]) ولدت في الثالث والعشرون من كانون الثاني 1688، وسميت بها الاسم تيمنا بوالدتها التي كانت تحمل الاسم ذاته، تولت حكم السويد (5كانون الأول 1718 – 29 شباط 1720) ثم تنازلت عن العرش لزوجها فردريك الاول، وقد كانت الاخت الصغرى للملك تشارلز الثاني عشر . توفيت في الرابع والعشرين من تشرين الثاني، 1741، للمزيد يراجع :

([136])James . R. Maulton , Peter the Great and Russian military campaigns during the final years of the great North war, "1719-1721", University press of America , 2005 ,P. 3.

([137]) Ragnar Svanstrom and Carl Fredrik Palmstierna, Short history …, P.189.

[138]( ) Ferdinand Schevill, Apolitical history …, 1921 ,P. 295.

([139]) James . R. Maulton , Peter the Great … ,P 5.

([140]) Quoted in : James . R. Maulton , Peter the Great … ,PP. 5-6.

([141])Ibid, P 6.

([142]) Ibid, ,P . 7.

([143]) James . R. Maulton , Peter the Great … ,P. 8.

([144]) O .Hale , A history of Poland .., P. 183.

(145) Ragnar Svanstrom and Carl Fredrik Palmstierna, Short history …, PP. 193-194.

(146) Ibid,

(147) O .Hale , A history of Poland .., P. 183.

(148) James . R. Maulton , Peter the Great … ,PP. 9.

(149) Ragnar Svanstrom and Carl Fredrik Palmstierna, Short history …, PP. 193-194.

150( ) Ferdinand Schevill, Apolitical history …, 1921 ,P. 295.

(151) Walther . Kirchner , a history of Russia , Second Edition , New york , 1950, P. 95 and after.

152( ) Mary platt , Parmete , A Short history … , P. 132.

(153) ولد في التاسع من كانون الأول 1594 في مدينة ستوكهولم ، تولى العرش بعد وفاه والده كارل التاسع عام 1611 بعمر السابع عشر فقط، وقد شهدت السويد في عهده مجدها الحقيقي ، لاسيما بعد اشتراكها في حرب الثلاثين عام 1618– 1648، توفي في السادس من تشرين الثاني 1632، وللمزيد حول الرجل ودوره في تاريخ السويد الحديث ، يراجع:

Waither harte , The history of the life of Gustavus Adolphus , (king of sweden) , VOL. I , London .

(154) Quoted in : Alfred .Remband , A popular History …, P. 72.